الجزء الاول

من

كتاب الازمنه والامكنه

للشيخ ابى علي المرزوقي الاصفهانى فرغ من تاليفه ضحوة
يوم الخميس ثالث عشر جمادي الآخرة سنة ثلاث
و خمسين واربع مائة رحمه الله تعالى .

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف الكائنة فى الهند
بمحروسة حيدر آباد الدكن حماها الله
عن الشرور والفتن .
سنة (١٣٣٢) ه

بعض الامصار وظهورها وتساوي الجميع في الدلالة على حكم الاثار وله الخلق والامر ٭ واليه المرجع والمستقر ٭ تبارك الله احسن الخالقين وصلوته على من اختاره للنذارة ٭ وتبليغ الرسالة ٭ فصدع بامره وادى حق نعمته في خلقه محمد وآله واصحابه اجمعين ٭

﴿اما بعد﴾ فان الانسان وان كان ذا لدد وخصام وجدال فيما يهوى وجذاب يتيقن الحوادث وجه الثبات او يتسبب الى الازدياد بحب التوسع فيرى جلائل الاقدار كانها نوادره او ملاعبه ٭ ويحسب غوائل الاخطار كانها تساوفه او تسالفه ٭ ترشح عار شح له عناصره ٭ عند الاختبار ٭ وتجليه لما هي له مكاسره لدى الاعتبار ٭ فهم فيما يترددون فيه طلمة خباءة وعن صفايا غنا عهم غفلة نومه لا يردون مستنكراه ولا يجدون عند الزلة مستمسكاه تجدهم على تفاوت من اجسامهم واقدارهم ومناشئهم ومدارجهم وامباحهم واديانهم وماخذهم في استقراء مارتهم وفي اداتهم ولغاتهم وصورهم وهيآتهم واقتراحاتهم وشهواتهم واقواتهم ومطاعمهم وحرفهم ومكاسبهم وتباين السنتهم والوانهم وعلى تنافس بينهم شديد ٭ وتحاسد في خلال احوالهم عجيب ٭ وتضاغن يلوح من مستكن سرآيرهم ٭ وتباغض يبوح ٭ تبدا في جوارحهم ٭ قد جبلوا على ما اليه سيقوا ٭ وخلقوا لما عليه ادبروا ٭ متوافقين في الانجذاب الى مدى من حب الوطن والسكن ٭ والصبر على مرارة الزمن ٭ والاستظهار في تخليد الذكر باتخاذ المصانع المؤبدة ٭ والمباني المشيدة ٭ كالخورنق والخضر والابلق الفرد وغمدان والمشقر والهرمين ومنف وهو مسكن فرعون ومدحر والشعراء ذكروها في ذلك قوله ٭

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا ٭ في رأس غمدان دار امنك محلالا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا تحصى الاؤه بتحديد* ولا تعد نعماؤه بتعديد* خالق الظلم والانوار بعجائب صنعته* ومالك المدد والاقدار بغرائب حكمته* فله في كل ما انشأ وابتدع* وفي جميع ما اوجب واخترع* عند تناسخ الازمنة في اعاليها وتعاقب الملل والدول بين مترفيها* آماد ورتب وآيات وعبر لا يجمع جملها الا ادراكه وعلمه* ولا ينوع تفاصيلها الا احصاؤه وحفظه* وان كان كثير منها يحصله البيان ويصوره الاذهان من الافلاك وبروجها ومنازل النيرين فيها واستمرار مسيرها في حدى الاستقامة والرجعة* والبطوء والسرعة* وتكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل وتبدل رطوبتها ويبسها وليبها* وتغير ادوار النجوم في طلوعها وافولها* قال الله تعالى (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس) وفي الاختفاء عن

البلوى ويستنزل المطر * فليسوا بشئ من حظوظهم اقنع منهم باجتماع الوطن والمطر * واستطلاع المستجد من العين والاثر . لذلك قال شاعرهم *

وكنت فيه كممطور ببلدته * فسر ان جمع الاوطان والمطرا

﴿ وقد قيل ﴾ ليس الناس بشئ من اقسامهم اقنع منهم باوطانهم فلولا مامن الله تعالى به على طوائف الامم وعصائب الزمر من الالطاف في تحبيب ماحب وتأنيس من انس والمنع من الاستيثار والاقتدار * والاجتهاد بنهمة الاقتدار * لما رضيت المهج الكريمة بمجاورة البلاد والديار * ولا سكنت القلاع * في قلل الجبال والتلاع * ولا عمرت المهاري والارانب في مساكن الاسود والسباع ولا تبت حبال الالفة * وتقطع نظام الملة فسبحان من جعل الاختلاف سببا للايتلاف وبدل التنافر فصيره داعيا الى التوافق * ولله الحمد على مامضى وقدنزه * ونسئله التوفيق فيما اتى وغبر * ونقل عن اشتمام الابنية الرفيعة الى غاية ما في نفوسهم * بل يدعون منه شياحين يلزمهم اسم التمام والفراغ ليس للكلام نهاية * ولولا الاختلاف فهم غايه * لا نعدهم كثير والنظر فيهم قديم وطبايعهم مختلفة * وقواهم متفاوتة والسنهم مرسلة * وخواطرهم مطلقة * ولو كان الفاسد يشعر فساده والمنقوص يحدس نقصه لكان الفاسد صالحا والناقص وافرا *

﴿ وروى ﴾ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من باع دارا او عقارا فلم يجعل ثمنها في مثلها كان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف *

﴿ وذكر احمد ﴾ بن ابى طاهر انه سمع آذرباد الموبد يقول انه وجد في حكم الفرس تربة الصبى تغرس في القلب حرمة كما تغرس الولادة في الكبد رقة ومما قيل في الوطن *

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وقول الآخر * ﴿ شعر ﴾

ماذا اؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم و بعد اياد

اهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد

ارض تخيرها الطيب مقيلها * كعب بن مامة وابن ام دواد

وقول الآخر * ﴿ شعر ﴾

واخو الحضر اذ بناه واذ * دجلة تجبى اليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلسا * فللطير في ذراه وكور

* وقول النابغة *

وخيس الجن اني قد اذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وكايوان كسرى انوشيروان وهي من الابنية القديمة والتهالك في مناصب القرون الخالية والارزاء بمناصبهم وطاب التقدم عليهم فيما حمدوا فيه وان كان كل منهم يذم زمانه ويحمد زمان غيره حتى روي قول لبيد *

﴿ شعر ﴾

ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

ومن قول عائشة رضي الله عنها فيه ماروي *

وسار متى قصر واعنه ذموا * وان ماهم حتا نسوا فيه ملوا

لاجرم انهم ابترموا بما اختير لهم فيجمعوا ايديهم عليه موثرين لقبوله ومقتنعين بحصوله لكن اطلع على ما بدله في القسم فاغتنمه * واوذن بما اعدله عند السوم فاختصبه * فترى ذكر الزمان في المكان في جميع ما يندرجون فيه شقيق ارواحهم ومشرع الروح لافئدتهم ومبتدء لذاتهم ومشتكى احزانهم * به يكشف

احب بلاد الله ما بين منعج * الي ورضوى ان تصوب سحابها
بلاد بها نيطت على تمائمي * واول ارض مس جلدي ترابها

واخذه ابن ميادة فقال *

بلاد بها نيطت علي تمائمي * وقطعن عني حين ادركني عقلي

﴿ وقال بعض ﴾ اصحاب المعاني العلة التي من اجلها تساوت الطباع المختلفة في الحنين الي الالاف وحب ما مضى من الزمان هي ان الذوات فينا ومنا لما كانت لا تحصل الا في مكان وزمان صارت لتضمنها لها ولكونها ناشية حياتها وقاضية شبيبتها وطالة غيابها تشوقها وتستشفى على البعد اروا حها حتى كا نها منها *

﴿ وفسر ﴾ بعضهم قول ابن الرومي فقال يريد بالمارب المقضية للشباب ما قامه الصبي من روادف الهوى وقد ظفر بالمرتاد او كان على استقبال من العمر وقوة من الركن واستملام من الامل واستخبار من الاجل وتماسك من الجوارح وتساعد من الاعضاء الحوامل ورخاء من البال وامن من عوارض الآفات والذي شرحه هذا المفسر الزائد فيه على مذهبهم كالواصل اليه لاجتماعها في غواشي العشق والصبي تحت بياني الجبر جاء الفوز بالمراد واظن جميعه في قول امرء القيس *

وهل ينعمن الا خلي مخلد * قليل الهموم ما يبيت باوجال

﴿ وهذا ﴾ في قضايا الاوقات كما قضي الجاحظ من تعصبه لمصره فقال من فضيلة البصرة ما خصت به من ارض الصدقة انه لا يسوغ تغيرها ولا تحويلها تبديلها ومن المد والجزر المخر خصوصا الاهاما لمجعول نوما بين قاطنيها ومسافرها ومصعدها ومنحدرها على مقابلات من الاوقات ومقادير من

عجبت لعطار أتانا يسومنا * بدسكرة القيوم دهن البنفسج
فويحك يا عطار هلا أتيتنا * بضغث خزامى أو بخوصة عرفج

﴿وقالوا﴾ خلق الله آدم من تراب فهمته في التراب وخلق حواء من ضلع من اضلاع آدم فهمتها في الرجال ومما يعرف به موقع الوطن والزمن من ذوي البصائر السليمة والعقائد الصحيحة قول جرير *

سقى الله البشام وكل ارض * من الغورين انبتت البشاما
فيا نعمى الزمان بها علينا * ويا نعمى المقام به المقاما

يجمعهما في قوله وانشدني ابو احمد العسكري قال انشد الصولي *

سقى الله دار الناضرية منزلا * ترقرق عليه الروض خضر الوطارف
وأيامنا والناضرون خضر * وعيشي بهم يهتز لدن المعاطف

ورأينا الله تعالى قسم مصالح خلقه ولذا يذم بين المقام والظعن فجعل اكثر مجاري الارزاق مع الحركة والاضطراب * واغتنام الارباب بعد التقادي في البلاد لذلك قال الشاعر *

فالقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وقال آخر *

سررت بجعفر والقرب منه * كما سر المسافر بالاياب

﴿وقد شهد﴾ اصحاب المعاني لابن الرومي فقالوا انه بين لاحد العلة في الحنين الى الوطن ابانته حين قال *

وحبب اوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالك

وقد قال الاسدي ايضا *

﴿شعر﴾

أخرجنا من ديارنا وابنائنا) جعل لهم في الارض بيتا نسبه الى نفسه بازاء البيت المعمور للملائكته وصيره حرما وامنا ومثابة للناس ومطافا يلوذ به الخائف ولو كان من الوحش كما ياوى اليه الهارب من الانس عظيما شانه منيعا جاره لا يغشى اهله غضاضة الامتهان ولا سامة الابتذال فهم على مر الايام وكلة وحمس في اديانهم متمنعة وقد كان من الفيل والحبشة ما ارخ به الزمن كما ارخت الحوادث والنحل وكما قيدت ايام النبوات بما يكشفها من انباء الفترات واحوال الانبياء والمعجزات * وذكر الله تعالى النعمة على قريش فانبأ عن رحلة الشتاء والصيف بعد ان دعا ابراهيم عليه السلام لسكان مكة فقال (رب اجعل هذا بلدا آمنا وليرزق اهله من الثمرات) وقد كان قال (ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) فاستجاب الله دعوته فهم يصيفون (الطائف) ويشتون (جدة) وانواع الخير منهم برصد وفعل مثل ذلك في الزمان فعظم ليلة القدر وجعلها (خيرا من الف شهر) بما ضمنها من تنزل الملائكة بقضاياه الى رأس الحول * ولانها ليلة السلامة والامن من كل داء وبلاء الى مطلع الفجر فالحمد لله الذي بنوره اهتدينا وبفضله غنينا * حين ادب الاخلاف بما درج عليه الاسلاف وقرن العبادة باعتبار ما امضى عليه القرون الماضية في الدهور الخالية فانهم وان مضوا سلفا فقد السبيل عليهم والناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم وقد اكثرت وظهر الفرض فيما ابدأت واعدت والترفية عن المطبة اعون في املاء قطع الدود ان من نكص عن المنهاج تاه في الفجاج فانما هذا الكلام وصلة الى (كتاب في الازمنة والامكنة) وما يتعلق بهما من اسماء الليل والنهار والبوارح (١) والامطار * والمزالف والمالف وما اخذ اخذهما مما تعداده يطول ومنطق به الحد يؤد بعد هذا (والفصول) * فقد قدمت ذكرها وقد غبرت مدة

(١) البارح الريح الحارة في الصيف ـ قاموس

الساعات وعلى منازل القمر في زيادة النور وامتلائه ونقصان ضوئه
واستسراره فلا يعرف مصر جاهلي ولا اسلامي افضل من البصرة ولا ارض
جرى عليها الآثار اشرف من ارض الصدقة ولا شجرة افضل من النخلة ولا
بلد اقرب برا من البصرة فهي واسطة البحر وخضراء من بداوور يساء من فلاة
وقانص وحش من صائد سمك وملاحين جمال من البصرة فهي وسطة
الارض وفرضة البحر ومضبض الاقطار وقلب الدنيا فساحله بعض المتقضية
للغيث وبلاده بان قال الكرمة افضل الاشجار لو العنب سيد الثمار ناعمة الورق
كانها سرقة ناضرة الخضرة بديعة الشكل سلسة الافنان رقيقة الجلد عند المذاق
يسرح في البدن نورها وفي القلب سرورها مع ذكاء العرق وصحة الجوهر
اذ عرشت على عمد الخشب وطبقات القصب تضاعف غلتها وتكامل حسنها
ودخلها ورافة جهارتها وانق نبعها وان بسطت اغصانها على الدار التي هي فيها
اظلت وان مدت على الجدران وقيدت الى حدود الجيران سامحت قائدها وقل
احتياضها تغني عن الشارات والفساطيط * وتكف صيد الحر في حمارة القيظ *
واحتدام الشمس اوان الحاجة الى الروح وتردع عواصف الرياح وقواصفها *
بكثافة ورقها وصفاقة ظلها في كلام يتصل بين الفريقين ولا ينقضي وليس من
همتي ولا سدى انما اردت التنبيه على ان كل ذي ارب همته في نظره بلدته طبعا
لا تكلفا وكل ذي مذهب مهجته في تزكية مسكة عمد الاشهر انم حسن الشيء
وقبحه وفضله ونقصه لما عليه في نفسه لا لجوى راصد والف جاذب والحديث
شجون والفخر بالشيء فنون لكن الله تعالى لما ذكر الديار خبر عن بموقعها من
عباده حتى سوى بين قتل نفسهم والخروج من ديارهم في قوله تعالى (ولو انا كتبنا
عليهم ان قتلوا انفسكم الآية) وفي موضع آخر (وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد

الامور معلوم شانهم معروف امرهم وما في على طبقاتهم في الغباوة والفظاظة وسوء الفهم والدراية والقسوة والغذامة والنوك والجهالة مراعون لمار هنوا به وقيضوا له والانصار والى وجوه المعاش وفنون الممارسات * والاغراب في اسرار الصناعات * والابداع في انواع التركيبات * انفتح لهم من ابواب المعرفة * وحسن التوفيق في الاصابه * مالم ينفتح لهم في سواه وذلك مالا يدرك غوره من غرائب حكمة الله تعالى فيما دبر وامضى وان كان للعرب خاصة طبع عجيب في الاخبار والاستخبار والمباحثة والاستكشاف وسرعة ادراك ما يسفر عن الاواخر عند النظر في الاوايل فحصل لهم بذلك اخلاق عادت مفاخر * وافعال صارت مناقب * مع ثبات فيما يمز * وجلد وبيان ولدد وافتنان في الخطب والشعر والرجز * على اختلاف انواعها وتصاريف اساليبها وعلى كثرة الامثال الحكيمة * وطرائف الاداب الكريمة *

﴿ ثم ﴾ لهم الفراسة الصحيحة * والكهانة العجيبة * وصدق الفال الحسن والحس المصيب مع العلم باثر القدم * في الصخر الاصم والقاع المفراء * وقيافة الاثر مع قيافة البشر * ليست لغير العرب لانهم يرون المتفاوتين في الطول والقصر * والمختلفين في الالوان والنغم فيعلمون ان هذا الاسود ابن هذا الابيض وهذا القصير ابن اخي هذا الطويل مع الرعاية لانسابهم وايامهم * ومحاسن اسلافهم ومساوى اكفائهم * للتعاير بالقبيح والتفاخر بالجميل وليجعلوه مبعثة على اصطناع الخير ومزجرة عن ادخار الشر * ولهم تبين احوال النجوم سعدها ونحسها * والانواء ومقتضياتها والامطار ومواقيتها * وبوارح الرياح في ابانها وحينها * والزجر المغني عن التنجيم وحسن الاهتداء في المسالك المهلكة * والمرامي غير المسلوكة * وهم على كل حال من عيشهم يخافون ماثور الحديث

من الزمان وهذا الكتاب مني ببال اتصفح ورقه بايدي فكري * واتصور مضمونه في مطارح فهمي * فينيلني اذا صادفته جوحا ويوليني اذا صافحته ازورارا وشسوعا كانه يطلب لنفسه حظا زايدا على ما اوتيه * وسهما عاليا لما اجيله فاعطيه الى ان تبوأ من علو الوكد والاهتمام في اعلى الربى ومن مرتقى التوفر في الاعتناء في اسنى الذرى فحينئذ طلع الله على ضميري نور الاستاذ النفيس ابي علي اسمعيل بن احمد ادام الله رفعته وبرهان سلفه قرنا بعد قرن وكابرا عن كابر من كمال النبل وجماع الفضل والجمال الظاهر * والكرم الغامر * والنهوض باعباء الرياسة والاستظهار في انحاء السياسة وتدبير المسالك والممالك والمدائن والمهالك * والميل الى ذوي الاخطار واعلام الآداب فهم يكرعون من جداهم في اعذب المشارع واكرم الموارد * هذا الى ما حباه الله في خاص وعام قصده من محببات القلوب ومزيات القبول فان العزيز الشريف والنبت الرفيع اذا شرب بالدونه المعطف وسهولة الملتقى والمختبر ترجاعن الكمال ووفرا ابهة الجلال * وهذا الثناء مني ليس على طريقة المادحين فاتجوز * ولا قصدي فيه قصد المجتدي فاتسمح * بل املاء طول الصحبة بلسان الخبرة فعليه فيه حكم الحق والمعلوم مع تواطي الاخبار عنه وشهادة الآثار له * وتوارد الوسايل فاقبل بتغاير ابوابه * وتثال علي وتسابق اجزاؤه وفصوله تتساق الي كانه كان من رباط الشد في عقال فانشط * ومن حفاظ المنع في وثاق فاهمل * والله تعالى امره تسهيل المراد وتعجيل الفراغ بحوله ومنه *

واعلم ان رؤسا الامم اربعة بالاتفاق * العرب * وفارس * والهند * والروم وهم على طبقاتهم في الذكاء والكيس والدهاء والكيد والجمال * والعناد وتملك الممالك والبلاد * والسياسة والايالة واستنباط العلوم واثارة الحكم في جوامع

الامور

لبقيت في حجر الفن مما اورده لما ارى في اهل الزمان من اطراح العلم واحتقار اهل الفضل ولا ازيد على هذا مخافة الخروج الى مايعد سرفا بل انشد قول الاول *

﴿ شعر ﴾

اذا مجالس الانصار حف من اهله * وحلت مغانيه غفار واسلم
فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدهر بالدهر الذي كنت اعلم

﴿ واعلم ﴾ ان قرب الشيء في الوهم ليس بموجب حصوله * ولا بعده فيه يقتضي بطوله * وهذا الكتاب ليس اختياري لعلمه لغلبته * ولا اشتغالي به عن شبهه لكني حصنته تحصين الحزم وصنته صون العرض المكرم فهو مذخورة المتالف * وعقد المتال المحتكم ثمرة عند الينع لا يخاف * وماؤ على الميح لا يكدر وقد قيل لحاضنك عليك حق اللبن * ولتربتك حب الوطن * ولنسلك حرمة السكن * ولطر بك خلع الرسن * كما ان لما تخلد به ذكرك من نثر ونظم عليك شرف التحلية * وحسن النعت والتسمية * وجمع الفوايد الزكية * وهجر الهوى والعصبية * وبيد الله تبليغ المراد وتوطير المرتاد *

﴿ واعلم ﴾ ان مدار الادب على الطلب وعمدته البحث ومصرفه الرغبة والحث وازمة الجميع بيد القريحة فاذا سلمت القريحة من عوارض الآفات وتملست من شوائب الاقذار والعاهات * وترقت في مدارجها من دلايل الرسوم الى حقائق الحدود ذاقبات تصنع في نيل المطلوب صنعة من طب لمن حب واني وان انشأت هذا الكتاب فما في نفسي ادعاء الفضل على الاسلاف وكيف استجيز ذلك ومن ذكرتهم نتفق وبشهاداتهم نتوثق وبين المسلم والمنازع ما بينهما من برزخ التضاد ولكن لمن ضم النشر وسوى في البناء النضد

ويتجرعون من غوارب البحار ويحبون المادحين وتقريظهم ويؤثرون على انفسهم الخيل وعلى عيالهم الضيفان اصحاب حياء وانفة وجود وفروسية ونخوة وهمة لا تطل دماؤهم ولا يعجز طوايلهم ولا ينسيهم طول الايام دفاين احقادهم يراعون الذمم ويوفون بالمواثيق ويوجبون الجوار باعلاق الدلو بالدلو وشد الطنب بالطنب حتى قال زهير *

وجار سار معتمدا علينا * اجابته المخافة والرجاء
فجاور مكرما حتى اذا ما * دعاه الصيف وانصرم الشتاء
ضمنا ماله فغدا علينا * جميعا نقصه وله النماء

﴿ ثم ﴾ لم يرضوا لانفسهم بالاسم الواحد والكنية الواحدة والنعت الشريف والذكر الرفيع والمنصب المفخم والفخر المقدم حتى تنقلوا في اسامي وكنى كما اكتنى حمزة بن عبد المطلب بابي يعلى * وابي عمارة * وعبد العزى بن عبد المطلب بابي لهب * وابي عتبة * وصخر بن حرب بابي سفيان * وابي حنظلة * وحسان بن ثابت بابي الوليد وابي الحسام * وعثمان بن عفان بابي عبد الله وابي عمرو وابي ليلى وعبد الله بن الزبير بابي بكر وابي خبيب وابي عبد الرحمن * والذين اسماؤهم كنى كثير في العرب يسمى بعضهم بعضا بسمات تفيد التفخيم والتعظيم كقولهم ملاعب الاسنة وسم الفرسان وزيد الخيل ومحكم الاقران واشباه ذلك * فهذه الخصال تختص بهم الى كثير مما ان شغلنا الكلام به خرجنا عن الغرض المنصوب ولله تعالى في خلقه ان يفعل ما شاء * ويصطفي بفضله من شاء وهو الحكيم العليم ولولا اهتزازي لتقديم ما يعتاق به همة براشاد النفيس وسرعة اجابتي اذا هاب لما رهبته وليحصل لي به الفال الحسن والذكر المؤبد والالتذاذ بالدخول في جملة اهل الفضل والاستنان بسننهم في اذاعة ما تكسبهم الايام ويفيدهم الاجتهاد

في الحاد اكثر الملحدين من الاوائل والمتأخرين واذ كنت قد شيدت من قبل فصول ماذكرت ووصوله بلمع من الكلام في المحكم والمتشابه والاستدلال بالشاهد على الغائب وبيان اسماء الله تعالى وصفاته ومايجوز اطلاقه عليه او يمتنع لان اطراف هذه الابواب متعلقة بموارد الآي التي تكلفت الكلام فيها ومصادرها ومستقية من العيون التي تحوم اطيارها حوله وفي جوانبها ولان الاشتغال به هو الغرض المرمى في تاليف مثل هذا الكتاب وترتيبه وتنسيقه هذا الى غير ذلك مما اخلا منه مؤلفات اللغويين والنحويين والباحثين عن طرائق العرب وماراعونه من معتقداتهم في الانواء وغيرها واعيان من آمن منهم بالكواكب حتى عبدوها ماالفوه من استمرار العادات بهم واطرادها على حد سالم من التبدل والتحول *

﴿ (ثم شرعت) ﴾ في الكتاب وتبويب معاطفه وتنويع اساليبه ومدارجه واستعين الله تعالى على بلوغ ماازلف عنده ويستحق به مزيد الاحسان واصحاب التوفيق الكامل منه وهو حسبنا ونعم الوكيل *

﴿ذكر ابواب الازمنة والامكنة وفصولها﴾

هي ثلاثة وستون بابا * ونيف وتسعون فصلا *

(الف) في ذكر الآي المنبهة من القرآن على نعم الله تعالى على خلقه في آناء الليل والنهار وبيان النسيء وفي ذكر اخبار مروية وفي ذكر الانواء وذكر معتقدات العرب فيها وفيما يجري مجراه وذكر فصل في جواب مسائل للمشهد من الكتاب والسنة وفي بيان المحكم والمتشابه وغيرهما وبيان اسماء الله تعالى وصفاته * وهو يحوي سبعة وعشرين فصلا *

(ب) في ذكر اسماء الزمان والمكان ومتى تسمى ظروفا * ومعنى قول

وتانق فى الاثارة ثم بلغ وتناهى الى الغاية فسدد حقه من العمل نسأل الله تعالى حسن التوفيق فيما نأتي ونذر وعليه المعول في ايزاعنا شكر نعمته واعانتنا على ما نقرب من رحمته * ونعم المولى ونعم النصير *

هذا ﴿ كتاب الازمنه والامكنه ﴾ وبيان ما يختلف من احوالها ويتفق من اسمائها وصفاتها واطرافها واقطاعها ومتعلقات الكواكب منها في صعودها وهبوطها وطلوعها وغروبها وجميع ما ياخذا خذها او يعدمعها او لا ينفك في الوقوع والاستمرار منها او متسبب بضرب من ضروب التشابه او قسم من اقسام التشارك الى الدخول في اثنائها مع شحة عما يصحبها من اشعارهم وامثالهم واسجاعهم ومقامات وقوفهم ومنافر اتهم جادين وهازلين ومن كلام روادهم ووردادهم وكتابهم في ظعنهم واقامتهم وتتبعهم مساقط الغيث وبوارح الريح وعند ما يقيمون من الجدب والخصب والسلم والحرب وقرى الضيف في الشتاء والصيف واعيادهم وحجهم ونسكهم ووجوه معايشهم ومكاسبهم وآدابهم وقد صدرته بجميع آي من كتاب الله تعالى بعض حقائقه لترددالمعاني اذا شافهت الالتباس بين الوجوب والجواز والامتناع فيتسع امد القول ويمتد نفسه بحسب الحاجة وعلى قدر العناية ومن انكر في طلب الحق واجبا او رد جائزا او جحد ممتنعا فقد صافح الخذلان كما ان من قصر وكده على ما لا يرد من دينه فائتا ولا يعمر ثابتا فقد جانب حسن التوفيق وعلى الله في الاحوال كلها المعول والتكلان *

﴿ وبعد ﴾ الفراغ من ذلك اتبعته بالكلام في حقيقة الزمان والمكان والرد على من تكلم بغير الحق فيهما بعد تتبع لما اصلوه شديد وبحث عنه بليغ ورد للسابق من دعاويهم على اللاحق (١) على الوارد اذ كانا عندي كالاصل

(١) خرم في الاصل ١٢

النحو بين الزمان ظرف الافعال * والرد على من قال فيهما بغير الحق من الاوائل والاواخر * ويحتوى على فصول اربعة *

(ج) هو يشتمل على بيان الليل والنهار وعلى فصول من الاعراب تتعلق بظروف الازمنة والامكنة * وفصوله ثلاثة *

(د) ذكر ابتداء الزمان واقسامه والتنبيه على مبادى السنة في جميع المذاهب وما يشاكل من تقسيمها على البروج *

(ه) في قسمة الازمنة ودورانها واختلاف الامم فيها *

(و) في ذكر الانواء واختلاف العرب فيها ومنازل القمر مقسمة الفصول على السنة واعداد كواكبها وتصوير ماخذها ضارة ونافعة * وفصوله اربعة *

(ز) في تحديد سني العرب والفرس والروم واوقات فصول السنة *

(ح) في تقدير اوقات التهجد التى ذكرها الله تعالى في كتابه عن نبيه والصحابة وتبيين ما يتصل بها من ذكر حلول الشمس في البروج الاثني عشر *

(ط) في ذكر البوارح والامطار مقسمة على الفصول والبروج وفي ذكر المراقبة * وهو فصلان *

(ى) في ذكر الاعياد والاشهر الحرم والايام المعلومات والايام المعدودات والصلوة الوسطى * وهو فصلان *

(يا) في ذكر سحر وغدوة وبكرة وما اشبهها والحين والقرن والآن وايان واوان والحقبة والكلام في اذ واذا وهما للزمان وابان وافان * وهو فصلان

(يب) في لفظة امس وغدو الحول والسنة والعام وما يتلو تلوه ولفظة حيث وما يتصل به والغايات كقبل وبعد * وذكر اول وحينئذ وقط واذو اذا

﴿ مسبو ﴾

اولوا المعارف الوافيه ٭ وان تلاحقت آلاتهم ٭ وتوافقت اسباب التفهم والافهام فيهم ٭ فترى المشتغل به المتامل له وقد صرف فكره اليه ٭ وقصر ذكره عليه ٭ قد تجد نفسه احيانا فيه بصورة من لم يكن سمعه او كان بعد السماع نسيه استغرابا بالمراسمه ٭ واستجلاء لمعالمه ٭ وذلك انه تعالى لما انزله ليفتتح بتنزيله التحدي به الى الابد ٭ ويختتم بترتيله وآدابه النذارة الى انقضاء السند ٭ على السن الرسل جعله من التنبيهات الجلية والخفية ٭ والدلالات الظاهرة والباطنة ما قد استوى في ادراك الكثير منها العالم والمقلد والمتدبر والمهمل وان كان في اثنائه اغلاق لا تنفتح الا شيئا بعد شيء باقهام ثاقبة ٭ وفي ازمان متباينة ٭ ليتصل امد الاعجاز به الى الاجل المضروب لسقوط التكليف ولتجدد في كل اوان بسوانحه وفوائده ما يهيج له بواعث الافكار ٭ ونتايج الاعتبار ٭ فيتبين ثنا ؤه الراسخ المتثبت ٭ والناظر المتدبر عن قصور الزائغ المتسطرف وتقصير المتول الطرف ٭ لذلك اختلفت الفرق ٭ واستحدثت المذاهب والطرق ٭ فكل يطالب برهانه على صحة ما يراه منه وان ضل عن سواء السبيل من ضل لسوء نظره وفساد تأتيه وعدوله عن مناهج الصحابة والتابعين وصالحي الاسلاف فلما كان امر القرآن الحكيم على ما وصفت وكان الله تعالى فيما شرع من دينه وحد عليه من عبادته ٭ ودعا اليه من تبين صنعه وتنبه ما اقامه من ادلته ٭ قال خلق الله السماوات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ٭ مبينا انما اخترعهما عما يشتمل عليه حقا لا باطلا وحكما لا عبثا لتوفر على طوائف خلقه منافعها ومثبتها من يصدق بالرسل ويميز جوامع الكلم على بعد غورها في قضايا التحصيل وتراجع الافهام والاوهام عن نصي ماخذها باوايل التكليف ٭

﴿ نه ﴾ (ويشتمل) من حدها على ذكر ما في اعرابه تظر من حديث الزمان *

﴿ نو ﴾ (في ذكر) الكواكب اليمانية والشامية وتمييز بعضها عن بعض وذكر ما يجري مجراها من تفسير الالقاب *

﴿ نز ﴾ (في ذكر) الفجر والشفق والزوال * ومعرفة الاستدلال بالكواكب وتبيين القبلة *

﴿ نح ﴾ (في معرفة) ايام العرب في الجاهلية وما كانوا يعرفونه ويتحاشون منه * وذكر ما انتقلوا اليه في الاسلام على اختلاف طبقاتهم *

﴿ نط ﴾ (في ذكر) افعال الرياح لواقحها وحوائلها وما جاء من خواصها في هبوبها وصنوفها *

﴿ س ﴾ (في ذكر) الايام المحمودة للنوء والمطر وسائر الافعال * وذكر ما يتطير منه او يستدفع الشر به *

﴿ سا ﴾ (في ذكر) الاستدلال بالبرق والحمرة في الافق وغيرهما على الغيث *

﴿ سب ﴾ (في الكواكب) الخنس * وفي هلال شهر رمضان *

﴿ سج ﴾ في ذكر مشاهير الكواكب التي تسمى الثابتة وهذه التسمية على الاغلب من امرها اذ كانت حركة مسيرها خافية غير محسوسة *

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان الله تعالى عظم شان القرآن وفضل بيانه بالنظم العجيب والتاليف الرصيف على سائر الكلام وان وافقه في مبانيه ومعانيه ثم اودعه من صنوف الحكم وفنون الآداب والنذر * وجوامع الاحكام والسير * وطرائف الامثال والعبر * ما لا يقف على كنهه ذوو القرائح الصافية * ولا يفي بعد فوائده

الباب الاول

منه و اذا كان الامر على هذا * فقوله كن حكاية والمعنى فيه ايجاب خروج الشي المراد من العدم الى الوجود * وقوله فيكون بيان حسن المطاوعة من المراد وتكونه وليس ذلك على انه مخاطبة المعدوم ولكن الله تعالى اراد ان يبين على عادة الآمرين اذا امروا كيف يقرب مراده اذا اراد امرا فاخرج اللفظ على وجه يفهم منه ذلك اذ كان لا لفظ في تصوير الاستعجال وتقريب المراد احضر من لفظة كن فاعلمه * وتلخيص الآية واذا كان يوم البعث والنشر والسوق الى الحشر يوجب وقوع المكون بقولنا كن فيقع بحسب الارادة لا تاخير فيه ولا تدافع لان حكمنا فيه المحقوق الذى لا يبدل * ولان الملك فيه للملك الذي لا يغالب ولا يمانع فقوله في الفصل الاول بالحق اى بما وجب في الحكمة وحسن فيها * وقوله في الفصل الثاني قوله الحق * اى المحقوق الذي لا يحول ولا يغير اذ كان البدء لا يجوز عليه واوايل الامور فى علمه كاواخرها * (والفصل الثالث) قوله وله الملك يوم ينفخ في الصور يريد به انه في ذلك الوقت متفرد بتدبير الفرق والامم وتنزيلهم منازلهم من الطاعة والمعصية كما بدأهم فكما كان تعالى الاول لقدمه يكون الآخر لبقائه لا مشارك له ولا موازر * وابين منه قوله في موضع آخر لمن الملك اليوم لله الواحد القهار * وهذا حال المعاد والمعنى اذا ردنا سوقهم بعد الاماتة للنشر لم يخف علينا شيئ من احوالهم لانا ملكهم فامرنا حتم لا تخيير وفور لا تاخير والاحصاء بجميعهم والادراك يعمهم * وقوله ويوم ينفخ في الصور * لم يشر به الى وقت محدود الطرفين ولكن على عادة العرب فى ذكر الزمان الممتد الطويل باليوم فهو كما يقال فعل كذا فى يوم فلان وعلى عهد فلان (والفصل الرابع) قوله عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير * يريد انه لا يخفى عليه ما فيه لانه العالم لنفسه فلا يعزب عنه امر والغائب عنده كالحاضر والبعيد كالقريب

﴿ثم كرر﴾ ذكرها في مواضع كثيرة في جملتها ما يقتضي الكشف عن نظومها وتصاريفها لما يكشفها من الغموض وكان مبنى التاليف الذى هو مبني على كتب لا يتم من دون الكلام عليها بترتيبه بان جملتها مقدمة ثم تجاوزت الى ماسواها والله المعين على تسهيل المراد منه بمنه *

﴿فمن ذلك﴾ قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول الآية وصف الله تعالى نفسه فيما بسط من كلامه هنا بفصول (اربعة) كل فصل منها عند التأمل جملة مكتفية بنفسها عن غيرها ودالة على كثير من صفاته التي استبد بها (فالفصل الاول) قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق * والمعنى في قوله بالحق ان الحكمة البالغة اوجبت ذلك ففطرها ليدل على نفسه بها ويظهر من آثاره العجيبة فيهما ما يحقق الهيته ويثبت قدمه وربوبيته ويظهر ان ما سواه مدبر مخلوق ومسخر مقهور وانه لحق تم له ما احدثه وانشأه لا بباطل ووجبت له العبادة من خليقته بقول فصل لا بهزل فحجته بينة وآياته محكمة * لا تخفى على الناظر ولا تلتبس على المتأمل الباحث اذ كانت الابصار لا تدركه * والحواس لا تلحقه * فعرف عباده قدرته والزمهم بما غمرهم من منافعه ونعمه عبادته فلا مانع لما منح * ولا واهب لما ارتجع * اوحرم تسليما لامره ورضى بحكمه (والفصل الثاني) قوله ويوم يقول كن فيكون قوله الحق * قوله ويوم نصب على الظرف والعامل فيه ما يدل عليه قوله الحق ولا يجوز ان يكون العامل قوله يقول لانه قد اضيف اليوم اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف * وقوله فيكون معطوف على يقول وما بعد القول وهو جملة يكون حكاية في كلامهم وكن في موضع المفعول ليقول وقد ابان الله هذا المعنى في قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون * لان معنى الحكاية ظاهر فيه ومفهوم

الوجه قراءة من قرأ والشمس تجري لا مستقر لها * وذلك ظاهر بين يوضحه
قوله تعالى بعقبه ذلك تقدير العزيز العليم اى تقدير من لا يغالب في سلطانه
ولا يجاذب على حكمته * قوله والقمر قدرناه الآية رفع القمر على وآية لهم
الليل وان شئت على الابتداء وينصب على وقدرنا والعرجون) عود العذق
الذي يسمى الكباسة تركبه الشماريخ مثله الاثكول والعثكول من العذق
فاذا جف وقدم دق وصغر وحينئذ يشبهها الهلال في اول الشهر وآخره *
﴿ وقال ﴾ ابو اسحاق الزجاج وزنه فعلون لانه من الانعراج وقال غيره هو
فعلول لانه كالعثكول ومعنى الآية وقدرنا القمر في منازله الثمانية والعشرين وفي
ماخذه من ضوء الشمس فكان في اول مطالعه دقيقا ضئيلا فلا يزال نوره يزيد
حتى تكامل عند انتصاف الشهر بدرا وامتلائه من المقابلة ورائم اخذ في النقصان
بمخالفته المحاذاة وتجاوزه لها حتى عاد الى مثل حاله الاولى من الدقة والضؤلة
وذلك كله في منازله الثمانية والعشرين لانه ربما استتر ليلة وربما استتر ليلتين
فمشابهة الهلال للعرجون في المستهل والمنسلخ صحيحة * فاما قوله حتى عاد فكانه
جعل تصوره في الآخر بصورته الاولى في الدقة مراجعة ومعاودة والقديم
يراد به المتقادم كما قال في قصة يعقوب عليه السلام انك لفي ضلالك القديم
(وقال الفراء) القديم ما ل لما اتى عليه حول * وقيل ايضا معنى عاد صار
ويشهد لذلك قول الشاعر *

﴿ شعر ﴾

اطعت العرس في الشهوات حتى * تعود لها عسيفا عبد عبد
ولم يكن عسيفا قط وقال امرؤ القيس *

وماء كلون البول قد عاد آجنا * قليل به الاقوات ذي كلأ مخل

وهو حكيم فيما يقضيه عليم فيما يقضيه لا يذهب عليه شيئ من احوال عباده ومن مواعيده فيحشرهم جميعا ويوفيهم مستحقهم موفورا*

﴿ ومنه ﴾ قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار * الى يسبحون * قوله نسلخ منه النهار اى نخرجه منه اخراجا لا يبقى معه شيئ من ضوء النهار الا ترى قوله في موضع آخر آتيناه آياتنا فانسلخ منها * وفي هذا دلالة بينة على ما ذهب اليه العرب من ان الليل قبل النهار لان السلخ و الكشف بمعنى واحد يبين ذلك انه يقال كشطت الاهاب والجلد عن الشيئ وسلخته اى كشفته والسلاخ الاهاب نفسه وسلخت المرأة درعها نزعته وسلخت الشهر صرت في آخر يوم منه و سلاخ الحية جلدها و اذا كان ذلك و كان الله تعالى قال الليل نسلخ منه النهار و المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ فيجب ان يكون الليل قبل النهار كما ان المغطى قبل الغطاء * قوله فاذاهم مظلمون اى داخلون في الظلام يقال اظلم الليل اذا تغطى بسواده واظلمنا دخلنا في ظلمات وهذا كقولك اجنبنا واشملنا اى دخلنا في الجنوب والشمال وانجدنا واتهمنا اي اتيناهما ثم قال والشمس تجرى لمستقر لها وهذا يحتمل وجوها من التاويل*

(ا) ان يكون المراد جريها الاستقرار يحصل لها اذا اراد الله وقوفها للاجل المضروب لانقضاء وقت عادتها في الطلوع والافول*

(ب) ان يكون المراد بالمستقر وقوفها عنده تعالى يوم القيامة والشاهد لهذا قوله في آية اخرى كلا لا وزر * الى ربك يومئذ المستقر * فهو كقوله في غير موضع ثم اليه مرجعكم * والى الله ترجع الامور * واليه ترجعون *

(ج) ان يكون المعنى انها لا تزال جارية ابدا مادامت الدنيا تطلع وتغيب بحساب مقدر كانها تطلب المستقر الذى علمها صانعها فلا قرار لها ويشهد لهذا

وانما قال يسبحون لانه لما نسب اليها على المجاز والسعة افعال العقلاء المميزين جعل الاخبار عنها على ذلك الحد ومثله رأيتهم لي ساجدين وهذا كثير *

﴿ومنه﴾ قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية نبه بهذه الآية وبقوله ان عدة الشهور الآية على نعمه على خلقه فيما انشأه حالا بعد حال لهم واستدعه بوملهم في مصالحه وقتا بعد وقت فيما قدر لهم فكر وذكر ونصب للحاضرة والبادية من الاعلام والادلة بالمنازل والاهلة ومطالع النجوم السيارة وغير السيارة حتى جعلت مواقيت وآجالا ومواعيد وامادا فمر فوا احلالها وحرامها ومسالمها ومعاديها وذا الحاجة منها مما لا حاجة معها وتبينوا بطول التجارب اضرها انواءا واعودها العطار اواجزها فقدانا واهونها اخلاقا فاخذوا الكل امر اهبته ولكل وقت عدته الى كثير من المنافع والمضار التي يتعلق باختلاف الاهواء وتفاوت الفصول والاوقات ومن تدبر قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين ثم فكر في تميز احدهما عن الآخر باختلاف حالهما في النور والظلمة والظهور والغيبة ولماذا صارا يتناوبان في اخذ كل واحد منهما من صاحبه ويتعاقبان في اصلاح ما به مصالح عباده وبلاده وكيف يكون نمو القمر من استهلاله الى استكماله ونقصه وامحاقه من ليالي شهره وايامه واني يكون اجتماع الشمس والقمر وافتراقهما وتساويهما وتباينهما ظهر من حكمة الله تعالى له اذا تدبره ورد آخره على اوله وولى كل فصل منه ما هو اولى به * ثم سلك مدارجهما وتتبع بالنظر معالمها ومناهجها اداه الحال الى ان يصير من الراسخين في العلم بعظم نعمه تعالى وجواقع نعمه وآثار ربوبيته الا ترى انه لو جعل الليل سرمدا او جعل النهار ابدا لانقطع نظام التعايش وانسدا بواب النمو والتزايد * وتادى انقلاب التدبر الى ما شرحه بتعذر فسبحانه من حكيم رؤف بعباده رحيم *

اى هار * وقال الثنوى *

فان تكن الايام احسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب

قوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر يعنى ينبغى لها اى لو كانت تطلب ادرك القمر لما حصلت لها بغيتها ولا ساعدها طلبها يقال بغيت الشيء فانبغى لى اى طلبته فاطلبنى واذا لم ينبغ لها لو طلبت فيجب ان لا يحصل الفعل منها البتة لان الادرك معناه اللحوق وسببه الذى هو البغاء ممنوع منه فكيف يحصل المسبب ﴿ وايضا ﴾ فان سرعة سير القمر وزيادته على سير الشمس ظاهر فهو ابدا سابق لها بسرعته وتلك متاخرة ابطؤها وقوله ولا الليل سابق النهار محمول على وجهين (الاول) ان يكون المعنى بالسبق اول اقباله وآخر ادبار النهار *

(والثانى) ان يكون المعنى آخر ادبار النهار واول اقبال الصبح وسبق الليل النهار باقباله ان يقبل اول الليل قبل آخر ادبار النهار وهذا مالا يكون واما سبقه اياه بادباره فان سبق آخر ادبار الليل اول اقبال الصبح قبل كونه وهذا ايضا لا يكون * ولا يجوز كونه لانهما ضدان يتنافيان ويتعاقبان فلذلك لم يجز سبق الليل النهار فى شيء من احواله * وقيل معنى لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر اى ليس لها ان تطلع ليلا ولا القمر له ان يطلع نهارا لان لكل منهما شانا قدر له ووقتا افرد به فلا يقع بينهما تزاجر فيدخل احدهما فى حد الآخر * قوله وكل فى فلك يسبحون اى كل واحد منهما له فلك يدور فيه فلا يملك انصرافا عنه ولا تأخرا الى غيره * ولفظ الفلك يقتضى الاستدارة اى وكل له مكان من مسبحه مستدير يسبح فيه اى يسير بانبساط * ومنه السباحة وقال تعالى لنبيه ان لك فى النهار سبحا طويلا * ولا يمتنع ان يكون يشير بقوله فى فلك الى الذى هو فلك الافلاك واذا حمل على هذا فهو ابهر فى الآيات وادل على اقتدار صانعه

لتسكنوا فيه والنهار مبصرا * ومثل قوله جعل لليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا * وفي آخر وجعلنا النهار معاشا * ومثل قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله * وهذه الآي وان تشابهت في معانيها فقد اختلفت تفاصيل نظومها * فقوله جعلنا الليل لباسا اى يغشى كل شيء من الحيوان وغيره فيصير ذا دعة وسكون وانقطاع عما يعالجه في النهار لابتغاء الفضل فيه * وجعلنا النهار معاشا اى وقت معاش والمعاش والمعيش ما اعان على الحياة به مما الحياة به وليس الحياة * قال امية *

ما ارى من معيشي في حياتي غير نفسي

﴿ وقد قال ﴾ ابو العباس محمد بن يزيد ثم يرى تقدير هما جملة ثقة بان السامع يرد كلا الى ماله يريد مثل قوله جعل لكم الليل والنهار * ثم قال لتسكنوا فيه ولتبتغوا * والسكون في الليل والابتغاء في النهار ومثله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * وانما هو من احدهما فان قال قائل ما تصنع على هذا بقول سيبويه لا تقول لقيته في شهرى ربيع اذا كان اللقاء في آخره قال وكذلك لا يجوز ان تقول لقيته في يومين واللقاء في احدهما قلت هذا الذى قال صحيح لان ذكرك الشهر الذى لم يكن فيه اللقاء فضل ولكن لو وصفت الشهرين بما يكون في واحد منهما لجمعت الصفة فيهما كان جيدا وذلك قولك في الشتاء يكون المطر وتقعد في الشمس اى هذا وهذا وكذلك في شهرى ربيع ناكل الرطب والتمر اى هذا في احدهما وهذا في احدهما كما تقول لو لقيت زيدا او عمرا لوجدت عندهما نحوا وخطا ان كان النحو عند احدهما والخط عند الآخر فليس هذا بمنزلة الاول لان اللقاء في احد الشهرين والآخر لا معنى لذكره البتة

﴿ قال ﴾ ابو العباس ومن ذلك قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ

﴿ وقد سئل ﴾ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن نقصان القمر وزيادته فانزل الله تعالى ان ذلك لمواقيت حجكم وعمرتكم وحل ديونكم وانقضاء عدة نسائكم وقوله تعالى آية الليل وآية النهار اضافهما على وجه التبيين والشيء قد يضاف الى الشيء لادنى علاقة بينهما قال تعالى فان اجل الله لآت * لما كان هو المؤجل وقال في موضع آخر فاذا جاء اجلهم لما كان الاجل لهم فكذلك قوله آية الليل وآية النهار يعني الآية التي تختص بهما هذا في اضافة الغير الى الغير * فاما اضافة البعض الى الكل فقولك خاتم حديد وثوب خز فلا يمنع دخوله فيما نحن فيه ويكون المعنى ان الآية لمحوة كانت بعض الليل كما ان الخاتم يكون بعض الحديد كان الليل از داد بالمحو آيتها سوادا ويقال دمنة ممحوة اذا درس آثارها وآياتها ويقال محوت الشيء امحوه وامحاه وفي لغة طي محيته وحكي بعضهم محا الشيء ومحاه غيره وكتاب ماح وممحو ومحوة اسم لريح الشمال لانها تمحو السحاب والمحوة المطرة التي تمحو الجدب ومن كلامهم تركت الارض محوة اذا جيدت كلها وقال بعضهم يجوز ان يكون عنى بآية النهار الشمس وبآية الليل القمر وعنى بالمحو ما في ضوء القمر من النقصان وحكي عن السلف ان المراد بالمحو الطخاء الذي في القمر قوله وجعلنا آية النهار مبصرة هو على طريق النسبة اي ذات ابصار * وفي موضع آخر والنهار مبصرا اي مضيا وكما قال هو ناصب اي ذو نصب ويجوز ان يكون لما كان الابصار فيها جعله لها كما يقال رحل مخت ذاهر راصحابه خبثاء ونهاره صائم وليله قائم وقال ابو عبيد يريد قد اضاء للناس ابصارهم ويجوز ان يكون كقولهم اصرم النخل اي اذن بالصرام واحمق الرجل اذا اتى باولاد حمق * وقوله لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب * مثل قوله في موضع آخر جعل الليل

لتسكنوا

ان لك في النهار سبحا طويلا * اى ذهابا وتصرفا في طلب الرزق ولما كان النشور في النهار جعله على المجاز نفسه كقولك فلان اكل وشرب على تقدير هو ذو اكل فحذف المضاف او لغلبة الفعل عليه جعله كانه الفعل فعلى هذين الوجهين يحمل قوله *

﴿ شعر ﴾

ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار

وهو يصف وحشية * وقال بعض اصحاب المعاني النشور في الحقيقة الحياة بعد الموت بدلالة قوله *

﴿ شعر ﴾

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر *

وهو في هذا الموضع الانتباه من النوم والاضطراب من الدعة وكما سمى الله تعالى نوم الانسان وفاة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها * كذلك وفق بين انتقاء من الموت في التسمية بالنشور *

﴿ ومنه ﴾ قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل الآية قوله الم تر لفظه استفهام وحقيقة البعث على النظر والمعنى انظر حتى تتعجب الى ما مده الله من الظل وانما قلنا هذا لان المد مدرك متبين وتبين كيفيته يبعد في الوهم فكيف في الادراك فلا يعلمه الا الله وهذا على عادتهم في التفاهم بينهم يقولون ارأيت كذا والمراد اخبرني وارأيتك والم تر كذا وهل رأيت كذا والم تر الى كذا والم تر كيف كذا والفضل في اكثره ان تعق المخاطب على ما تعجب منه من المدعو اليه وقد استعمل هل رأيت معدولا به عن حيث المعنى على ظاهرها ايضا وذلك كقول القائل حتى اذا جن الظلام واختلط جاء وا بمذق هل رأيت الذئب قط ويسمى مثل هذا التصوير لان المعنى جاؤ بمذق اورق فصور الورقة بلون لذئب * فاما قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه فمعناه ارأيت كالذى حاجه بين ذلك ما عطف

لا يبغيان ثم خبر بفضائلهما فقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح لا من العذب ولكنه ذكرهما ذكرا واحدا مخبرا بما يتضمنانه * وكذلك قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله * فالسكون في الليل والاكتساب في النهار ولكن كما جمعهما في الذكر ابتداء جمعهما في الخبر انتهاء افتنانا في النظم وجريا في السبك وثقة بان اللبس عنه بعيد كيف رتب وفي قوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب * اشارة الى التواريخ وضبط مبالغ الديون والمعاملات وآمادها ومواقيتها وما فيه معاشهم ورياشهم وعليه تبتني منافعهم ومصالحهم * وقد دخل تحت ما ذكرنا ما اشار تعالى اليه بقوله وكل شيء فصلناه تفصيلا * وان كانت هدايته ابلغ * وبجامع بيانه من اللبس ابعد * فاما قوله تعالى من الآية الاخرى التي اوردتها مستشهدا بها جعل الليل لباسا اي للتودع والسكون يقال في فلان ملبس اى مستمتع *

قال امرؤ القيس * شعر

الا ان بعد العدم للمرء قنية * وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وقال ابن احمر *

لبست ابي حتى تمليت عمره * ومليت اعمامي ومليت خاليا

ويجوز ان يريد باللباس الستر لان الليل غطاء كل شيء وستره كما قدمنا والاحسن الاول يدل على ذلك قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن * جعل العلة فيما احل منهن لهم من الرفث اليهن كون الجميع لباسا اى مستمتعا وقوله والنوم سباتا * اى راحة وامنا ويقال رجل مسبوت اذا استرخى ونام وسبت فلان العمل بالفتح اذا ترك العمل واستراح وانسبتت البسرة اذا لانت * وقوله وجعل النهار نشورا انه مثل قوله

لجعله ثابتا لا يزول كما ان سكنى الرجل الدار يكون اذا اقام وثبت * قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا * يراد به انه لولا الشمس لما عرف الظل فالله تعالى يقبضه ويبسطه في الليل والنهار وعلى هذا يكون الدليل بمعنى الدال *

﴿ وقال ﴾ بعضهم المعنى دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به ونسخته اي اتبعناها اياه قال ويدلك على ذلك قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا اى شيأ بعد شيئ فعلى طريقته يكون دليلا فعيلا في معنى مفعول لا في معنى الدال * وروي عن الحسن انه كان يقول يا ابن آدم اما ظلك فسجد لله واما انت فتكفر بالله *

﴿ وقال ﴾ بعضهم وقد احسن ما قال الظل من آيات الله العظام الدالة بالزامه الانسان منه ما لا يستطيع انفكاكا عنه فدل بذلك على لزوم القمر له ولساير الخلق قال الله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * فظلال الاشياء تمتد عند طلوع الشمس من المشرق طولا ثم على حسب ارتفاع الشمس في كبد السماء تقصر حتى ترجع الى القليل الذى لا تكاد تحس وحتى يصير عند انتصاف النهار في بعض الزمان بمنزلة النعل للانسان ثم تزيد في المغرب شيأ شيأ حتى تطول طولا مفرطا قبيل غروب الشمس والى غروبها ثم يدوم الليل كله ثم يعود في النهار الى حاله الاولى فالشمس دليل عليه لولا الشمس ما عرف الظل فالله بقدرته القاهرة قبضه ويبسطه في الليل والنهار * وانما قال قبضا يسيرا لان الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة واحدة ولا يقبل الظلام كله جملة واحدة وانما يقبض الله تعالى ذلك الظل قبضا خفيا وشيئا بعد شيئ ويعقب كل جزء منه بقبضه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كله فدل الله على لطفه في معاقبته بين الظل والشمس والليل * ومن كلامهم وردته والظل عقال وطباق وحذاء * وقال

عليه من بعد لانه تعالى قال او كالذى مر على قرية * لان المعنى على ذلك والكلام جار على التعجب ولفظة الى تأتي اذا حملت ارأيت على انظر * فاما قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل * فالمعنى الم تعلم ولا يحتاج الى ذكر الى *

﴿ والمراد ﴾ بالظل عند بعضهم الذى يكون بعد طلوع الفجر في انبساط وقبل طلوع الشمس وظهورها على الارض وقد قال اهل اللغة في الفرق بين الظل والفيء ان الظل يكون بالغداة والعشى والفيء لا يكون الا بالعشي لانه اسم للذى فاء من جانب الى جانب * ومنه قولهم فيء المسلمين للغنائم والخراج الراجعة اليهم * وقد جاء ما يفيد فائدته في صفة الظل في مواضع * منها اكلها دائم وظلها * ومنها قوله وظل ممدود * فجعل ما في الجنة ظلالا فيئا وكان روبة يقول الظل مالم ينسخه الشمس وهو اول والفيء ما نسخته الشمس وهو آخر وقالوا الظل بالغداة والعشى والفيء بالعشي * وقيل ايضا الظل نكون ليلا ونهارا * والفيء لا يكون الا بالنهار * وما نسخته الشمس ففيء وكان في اول النهار فلم تنسخه الشمس وقيل الظل لليل في كلام العرب * قال *

وكم هجرت وما اطلقت عنها * وكم رحت وظل الليل دان

فجعل لليل ظلا وقول الآخر وتفيئوا الفردوس ذات الظلال * اتساع ايضا لانه جعل للافياء ظلالا * فاما قوله *

﴿ شعر ﴾

فلا الظل من برد الضحى نستطيعه * ولا الفيء من برد العشى نذوق

فقد فصل بينهما قوله ولو شاء لجعله ساكنا * سئل عنه متى كان متحركا فقيل معنى السكون ههنا الدوام والثبات الا ترى انك تقول للماء الساكن الواقف ماء دائم وراكد * ويمكن ان يقال ان الساكن ههنا من السكنى لا من السكون اي لو شاء

الشمس على يمين الشخص كان الفئ عن شماله واذا كانت على شماله كان الفئ عن يمينه وقيل اول النهار عن يمين القبلة وفى آخره عن شمال القبلة * ومعنى قوله سجدالله وهم داخرون انها بآثار الصنعة فيها خاضعة لله تعالى وذكر السجود قد جاء في هذا المعنى في غير هذا الموضع قال (غلب سواجد لم يدخل بها الحصر) وقال آخر

بجمع تضل البلق في حجراته * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر

والمراد الاستسلام بالتسخير والانقياد *

﴿ فاما ﴾ قوله تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين بعد ان قال فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا فمعنى ضربنا على آذانهم اى انمناهم ومنعناهم الادراك ويقال في الجارحة اذا ابطلتها اضربت عليها وفى الممنوع عن التصرف فى شيئ ضربت على يده ومعنى تزاور وتزور تنحرف عنهم اى تطلع على كهفهم ذات اليمين ولا تصيبهم والعرب تقول قرضته ذات اليمين وقرضته ذات الشمال وقرضته قبلا وقرضته دبرا وحذوته ذات اليمين وذات الشمال اى كنت بحذائه من كل ناحية * واصل القرض القطع اى تعدل عنهم وتتركهم *

﴿ وقيل ﴾ ان باب الكهف كان بازاء بنات نعش فلذلك لم يكن الشمس تطلع عليه وانما جعل الله تعالى ذلك آية فيهم وهو ان الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها * وقال الله تعالى والنجم والشجر يسجدان * وقد بين الله المراد بما ذكرنا في آية اخرى فقال تعالى ولله يسجد من في السماوات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال * يريد الانقياد في الطاعة من الملائكة والمؤمنين في السماوات والارضين وانه يستسلم من في الارض من الكافرين كرها وخوفا من القتل وظلالهم بالغدو والآصال يؤدى ما اودع من آيات

ولو احقت اخفافها طبقا * والظل لم يفضل ولم يكر

اى لم ينقص ويقول لو ن لم يزل الظل طارد او مطرودا ونحو لا وناسخا

ومنسوخا وسارقا ومسروقا وكل الذى ذكرت عند التحصيل بيان وتفصيل

لما اجمل فيما قدمته وسيجئ من صفات الظل واسمائه فى بابه ما تزداد به انسا

بما ذكرناه *

﴿ واما قوله ﴾ تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيئ الآيه فقوله (من شيئ)

من دخلت للتبيين كدخولها مع المعرفة في قوله واجتنبوا الرجس من الاوثان

والمعنى من شيئ له ظل كالشخوص ومن هذه قد تجئ مع النكرة فتلزم

ولا تحذف تقول من ضربك من رجل وامرأة فاضربه هذا في الجزاء كقوله

تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيئ * وانما كرهوا حذف من لأنهم خافوا ان

يلتبس الكلام بالحال اذا قلت الى ما خلق الله شيأ ومعنى الحال هاهنا بعيد فالزموه

من ليعلم به انه تفسير وتبيين لما قد وقع غير موقت يكشف هذا انك لو قلت لله

دره من رجل جاز ان يقول لله دره رجلا ومن رجال فانك قد امنت الالتباس

بالحال اذ لم يكن ذلك موضعه * فاما قولك لله درك قائما فانما جاز سقوط (من)

لان الذى قبله موقت فلم يبال التباسه بالحال * قوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين

والشمايل * معناه ما قدمته في بيان قوله تعالى كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا *

وكشفه ان جميع ما خلقه عز وجل ظله يدور معه ويمتد لا ينفك منه حتى لو رام

انسلاله من دونه لما قدر عليه يصحبه مقبلا او مدبرا او كيف مال زايدا عليه وناقصا

منه ليذكره عجزه ويصور له انه على تصرفه المتين فى لزام اضعف قرين وذلك

تفيؤها ى ترجمه يمنة ويسرة ومتنسلا من تحت ومعتليا من فوق على حسب

اختلاف الاحوال فيكون للاشخاص فيئ عن اليمين والشمائل اذا كانت

الشمس

باشياء كالاعلام لها وعلى ذلك اسماء الافعال * فاما قولهم سبح تسبيحا فهو فعل بنى على سبحان ومعنى سبح الله اي قال سبحان الله فهو عروض قولهم بسمل اذا قال بسم الله * وقد اطلق سبح في وجوه سوى هذا *

﴿ومنها﴾ الصلوة النافلة يشهد لهذا قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اى من المصلين وهو مستفيض ان السبحة هي النافلة وكان ابن عمر يصلى سبحته في موضعه الذى يصلى فيه المكتوبة *

﴿ومنها﴾ الاستثناء كقوله تعالى قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون اى لولا تستثنون * وقيل * هي لغة لبعض اهل اليمن وليس للكلام وجه غيره لانه تعالى قد قال قبل ذلك * انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون * ثم قال * قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون * فاذكرهم تركهم الاستثناء والمراد من الله تعالى ان يعرفنا عبادته ويعلمنا حمده وما نستحق به اذا اقناه وكانه قال سبحوا الله في هذه الاوقات وتذكروا في كل طرف منها ما يجدد عندكم من انعامه ثم قابلوا عليه بمقدار وسعكم من الحمد والتسبيح * قوله حين تمسون وحين تصبحون اى اذا افضيتم الى الصباح والمساء وحق النظم ان يكون حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون * لكنه اعترض بقوله تعالى له الحمد فى السموات والارض * ومثل هذا الاعتراض الا انه اعترض بين الفعل والفاعل قوله *

﴿شعر﴾

وقد ادركتني والحوادث جمة * اسنة قوم لا ضعاف ولا نكل

وفي القرآن فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانه لقرآن كريم * ففصل بين اليمين وجوابها كما ترى وحسن ذلك لان المعترض يوكد المعترض

الحكم وغرائب الاثر فسبحانه من معبود حقت له العبادة من كل وجه وعلى كل حال فلا تتوجه الا اليه وان قصدها غيره ولا تليق الا به دون من سواه (والداخر) الصاغر ويقال تفيأت الشجرة بظلها اذا تميلت * فاما قوله *

﴿شعر﴾

تتبع افياء الظلال عشية * على طرق كأنهن سبوب

فانما اضاف الافياء الى الظلال لانه ليس كل ظل فيأ وكل فيء ظل وتحقيق الكلام تتبع ما كان فيأ من الظلال * ومثله في الاتساع قول الآخر

لما نزلنا نصبنا ظل اخبية * وفاز باللحم للقوم المراجيل

لان المنصوبة هي الاخبية ويقال اظل القوم عليهم اي اوقعوا عليهم ظلالهم وانما قال وهم داخرون لان المنسوب اليها من افعال العقلاء فاعيرت عبارتهم وقد مضى مثل هذا *

ومنه قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الى تظهرون ﴿اعلم﴾ ان قولك سبحان مصدر كقولك كفران وغفران الا ان فعله لم يستعمل ولو استعمل لكان سبح مثل كفر وغفر * ومعناه التبعيد من ان يكون له ولدا ويجوز الكذب عليه والتنزيه له والبراءة من السوء وكل ما ينفى عنه الا انه التزم موضعا ولم يجر مجرى سائر المصادر في التصرف والاستعمال * وذلك انه لا يأتى الا منصوبا مضافا وغير مضاف لكنه اذا لم يضف ترك صرفه فقيل سبحان من زيد * قال الاعشى *

﴿شعر﴾

اقول لما جاء ني فخره * فسبحان من علقمة الفاخر

فلم يصرفه لانه معرفة في آخره الف ونون زائدتان فهو كعثمان وسفيان كانه اجرى مجرى الاعلام في هذا وهم يحملون المعانى على الذوات في تخصيصها

اراد بالوسطى العصر * ومنهم من قال اراد بها الفجر ويجوز ان يكون المفروض بقوله اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل * اربع صلوات في النهار صلاتان الظهر والعصر وفي الليل صلاتان المغرب والعشاء الاخرة *

﴿ وقوله ﴾ تعالى كان مشهودا اي يشهده الملائكة ويجوز ان يكون المراد حقه ان يشهد * (والغسق) الظلمة فاما اختصاص السموات والارض بالذكر من بين الاشياء كلها فلشمول لهما الكل مخلوق * ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم * والمعنى وهو الذي يحق له العبادة واذا كان كذلك فكل مذكور معلوم داخل فيهما * ويكون قوله يعلم سركم وجهركم * خبرا ثانيا اي هو اله في الارض كما هو اله في السماء لا يخفى عليه خافية *

﴿ ويحتمل ﴾ ان يكون المراد وهو الله في السموات * اي هو معبود فيها وقد تم الكلام ويكون قوله وفي الارض يعلم سركم وجهركم على انه خبر ثان والمراد انه معبود في جميع ذلك عالم بالسر والجهر * وقيل في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله * ان الخلق يولهون اليه اي يفزعون في الشدائد اليه مستغيثين به (١) واهل الارض متساوون في حاجتهم الى رحمته وجميل تفضله * فاما قوله في السماء اله وفي الارض اله * فاله مشترك غير مخصوص وجاز فيه الجمع كما جاء اجعل الالهة الها واحدا * وكما قال اجعل لنا الها كما لهم آلهة وهو يعمل عمل الفعل الا ترى ان قوله وهو الذي في السماء اله الظرف فيه متعلق بما في الاله من معنى الفعل وفي تقديره واعرابه عدة وجوه منها ان يقال ان العائد الى الذي محذوف كانه قال وهو الذي هو في السماء اله وفي الارض اله وساغ حذف العائد بطول وهي قوله في السماء اله وفي الارض اله وهذا كما حكي عنهم

(١) كذا في الاصل والظاهر واهل السماء واهل الارض ١٢ الحسن النعماني

في الاول والحمد اذا اقترن بالتنزيه والتسبيح صار الاداء اوقربهما وابلغ والصبح
والصباح والاصباح كالمسى والمساء والامساء وهذا مما حمل فيه النقيض
على النقيض وعلى هذا المصبح والممسى وجاء فالق الاصباح ويعنى به الصبح
وصبحت القوم اتيتهم صباحا وناولتهم الصبوح ويقولون ياصباحاه اذا استغاثوا
والمصباح السراج واصطبحت بالزيت والصباح قرط المصباح الذى في
القنديل والمشى آخر النهار فاذا قلت عشية فهى ليوم واحد والمشى السحاب
لانه يغشى البحر بالظلام * الذى يتلخص به الآية ان يعلم ان المساء منه ابتداء الظلمة
كما يكون من الصبح ابتداء النور والظهيرة نصف النهار وفلان يرد الماء ظاهرة
اذا ورد كل يوم نصف النهار تقول فعلموا الله تعالى بما يدل عليه آياته في الصباح
والمساء والغدو والرواح فان في معنى كل لمحة من هذه الاوقات بما يحويه من
غرائب صنع الله في تبديل الابدال وتحويل الاحوال وايلاج الليل في النهار
والنهار في الليل ايجاب شكره علينا معشر عبيده مؤتنف والزام حمده ببقاء
الزمان متصل * قوله تعالى وله الحمد في السماوات والارض * يريد به في
اهل السماوات والارض فهو على حذف المضاف كقوله تعالى واسئل القرية
والمراد اهلها والمعنى انه محمود في كل مكان وبكل لسان *

﴿وذكر﴾ بعض المفسرين ان قوله فسبحان الله حين تمسون الآية دال على
اوقات الصلوة وهذا سائغ وان كانت الفوائد فيما ذكرنا اعم وقد قال الله تعالى
في موضع آخر (اقم الصلوة لدلوك الشمس الآيه) منبها على اوقات الصلوة مجملا
وتاركا تفصيلها وبيانها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والدلوك مختلف فيه
فمنهم من يجعله الزوال ومنهم من يجعله الغروب وهذا كما اختلفوا في الآية
الاخرى وهى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى * فمنهم من قال

معرفة الشيء اما ان يكون بما يؤدي اليه رواتب الحس وهي الاجسام والاعراض او بما يبرهن عليه دلائل الصنع وهو ما يكشف عند الاستدلال فاعلم المشركين فيما انزله ان الذي يجب تعظيمه ويحق ربوبيته هو خالق السماوات والارض في ستة ايام فتوصلوا الى معرفة ما نصبه من ادلته فسيشهد لكم من جلايل قوته وعزته ما يزيد في البيان على ما يصل اليه الواحد منكم بحاسته ويصور لكم النظر بما مهل في اوايل عقولكم ما يميز الشك من اليقين لكم وتخلص الصفو من الكدر في معتقدكم فالآلة تامة والعلة مزاحة وما كلف بما كلفتم الا بحكمة بينة وطريقة في فنون الصواب ثابتة وانما خلقها في ستة ايام ليعرف عباده ان الرفق في الامور وترك التعجل هو المرضي المختار في التدبير لانه تعالى لو شاء ان يخلقها في ادنى اللمحات واوحى(١) الاوقات لما مسه فيما ياتيه اعياء ولا لغوب ولا اعجزه كلال ولا فتور *

﴿وانما﴾ اراد ان يحدثه حالا بعد حال لتدرك ثمرات عبرهم شيأ بعد شيء ولتأدب اولوا البصائر باياته وحمله قرنا بعد قرن يبين هذا انه تعالى نهى نبيه عليه السلام فيما يتلقاه من وحيه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه * وقل رب زدني علما * وقال ايضا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا * فاصبر لحكم ربك * ثم جعل فيما انزله مجملا ومطلقا ولو شاء لجعل الكل مفسرا ونبى على الكفار لما قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة * وقال كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا * وهذا حسن *

﴿وقال﴾ بعض مشايخ اهل النظر لو اراد الله تعالى ان يخلقها ويخلق اضعافا كثيرة معها لفعله وهو عليها قادر لكنه جعلها في ستة ايام ليعتبر بذلك ملائكته الذين كانوا يشاهدونه وهو يحدث شيئا بعد شيء في هذه الايام الستة عبرة

(١) اي اسرع الاوقات ١٢ قاموس

ما انا بالذي قائل لك شيئا وقد قال الخليل اني استحسنه اذا طال الكلام فهذا وجه ويجوز ان يقال انه مرتفع بالابتداء وخبره في السماء وفي الارض والعائد الى الذي هو الذي يعود الى الهلان الذي هو في المعنى والحمل على المعنى مذهب ابي عثمان وقال مع ذلك لولا كثرته لرددته ومثله قول القايل * انت الذي فعلت وقوله (انا الذي سمتني امي حيدره) والقياس فعال وسمته وقوله وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم * الظرف لا يتعلق بالاسم اعنى لفظة الله على حد ما يتعلق بالاله الا على حد ما ذكره لك وهو ان الاسم لما عرف منه معنى التدبير للاشياء وابقائها بحفظ صورها في نحو ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا * ونحو ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ونحو امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا * صار اذا ذكر كانه ذكر المدبر والحافظ فيجوز ان يتعلق الظرف بهذا الذي هو الاسم العام بعد ان صار مخصوصا وفي حكم اسماء الاعلام التي لا معنى فعل فيها فهذا بمعنى الاسم وما كان يدل عليه من قبل من معنى الفعل وعلى هذا تقول هو حاتم جواد او هو ابو حنيفة فقيها وهو زهير شاعرا فتعلق الحال بما دخل في هذه الاسماء من معنى الفعل لاشتهارها بهذه المعاني * الا ترى انك لا تقول هو زيد جوادا ما لم يعرف بذلك وعلى هذا تقول هو حاتم كل الجواد وهو ابو حنيفة كل الفقيه * .

﴿ومنه﴾ قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض في ستة ايام الآيه * لما كان الله تعالى خالق الاشياء مبتدعها ومدبر الافلاك ومسخرها وكانت الابصار لا تدركه والاقطار لا تحده واراد مع ذلك ان يعرف نفسه الى من يتعبده من خلقه لتسكن نفوسهم الى مصطنعهم فيتصمموا لمن تمسكوا بدعائه احالهم على مراده من ذلك بآثاره وآياته في ارضه وسماته اذ كان الطريق الى

زيادة بيان نقيضه ان شاء الله تعالى *
﴿ وقوله تعالى ﴾ (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الى (في اربعة ايام سواء للسائلين) يريد ما اضيف اليه ولولا ذلك لما كان لقوله سواء للسائلين معنى فكانه قال في تمام اربعة ايام سواء لمن يسأل عن ذلك * ثم قال (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض) الى (في يومين) *
﴿ واعترض ﴾ بعض الملاحدة فقال هذا باطل انكم وفقتم بين التفصيل في هذه الآية وبين الاجمال في الآية المتقدمة بان تقولوا قوله في اربعة ايام يريد مع اليومين الذين خلق الارض فيهما فقولكم في قوله (ثم استوى الى السماء) الآية * فدلت هذه الآيات على انه خلق الارض قبل السماء * وقال في موضع آخر (ام السماء بناها) الى (والارض بعد ذلك دحاها) فدلت هذه الآية على انه خلق السماء قبل الارض *
﴿ والجواب ﴾ انه انما كان بعد الطاعن متعلقا بقوله والارض بعد ذلك خلقها او انشأها وانما قال دحاها فابتدأ الخلق في يومين ثم خلق السموات وكانت دخانا في يومين ثم دحا بعد ذلك الارض اي بسطها ومدها وارساها بالجبال وانبت فيها الاقوات في يومين فتلك ستة ايام وليس احد انه تعالى لها في ستة ايام الا لتكوينه اياها في غير مدة ولا زمان لكن الحكمة التي دلتها عليها اوجبت تقسيمها والاتيان بها على ما نرى *
﴿ وقال ﴾ في موضع آخر خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء * وهذا ابلغ في الاعجوبة ان يكون العرش بهذا البناء العظيم على الماء والتاثير لعي في اسباب الابنية ووضع قواعدها ان يكون على احكم الاشياء فهو مثل الاستدلال باعيانها والقائها بلا عمد ولا علاقة * وقوله (ثم استوى الى السماء)

مجددة ويستدل بكل ما يحدث دلالة مستأنفة وليكون ذلك زيادة في بصائرهم والحجة التي تقيمها عليهم * فقيل له في ذلك ان كان ذلك حكمة فيجب ان يطرد في جميع ما خلقه وليس الامر على هذا على ان ذلك ليس بسائغ لان الملائكة لا يستغنون عن مكان يحويهم واذا كان لا مكان في العالم الا السماء والارض فليس يعقل كون الملائكة قبل كونهما *

﴿ ويمكن ﴾ ان يقال في هذا والله اعلم انه تعالى اعلمنا انه احدث شيئا بعد شيئ حتى وجدت عن آخرها في ستة ايام وبين لنا بذكر الايام الستة ما اراد ان يعلمنا اياه من الحساب الذي لا سبيل لنا الى معرفة شيئ من امور الدنيا والدين الا به كما قال وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب الآية * فاصل جميع الاعداد التامة ستة ومنها يتفرع سائر الاعداد بالغا ذلك ما بلغ اذ كان ما عداها من الاعداد ناقصا او زائدا *

﴿ الا ترى ﴾ ان لهذا النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد * واذا حسبت جميعها كانت ستة وعند من يعتني بهذا الشان ان نظير الستة من العشرات ثمانية وعشرون * وكذلك لها في كل من المئين والالوف نظير واحد فالستة اول الاعداد التامة كما ان التسعة منتهى الانواع كلها الآحاد والعشرات والمئين والالوف لاشتمالها على الفرد وهو واحد والزوج وهو اثنان والزوج والفرد وهو ثلاثة والزوجين وهو اربعة وقد انتهى ان ما يجيئ من بعد يكون مكررا واذا احسبت الجميع كان تسعة فكانه سبحانه من حكيم اراد ان يكون انشاء خلقه للعالم باسره الى عدد تام فيما احصى كما انه في نفسه تام لا بخس فيه ولا شطط فيما نروي ونتلي * ونظير هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر وان كان فيه زيادة بيان وستحكم القول في جميعه لان ما فيه من

قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم * لان حتى يكون لامر حادث وعلم الله ليس بحادث * وانما المعنى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك وانما قال هذا لانه لم يعرف ما ذكرناه من الوجه الثاني فيه ثم * ومعنى يغشى الليل النهار اى يغطي ضياءه ونوره فهو كقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل * قوله يطلبه حثيثا اي يطلب الليل النهار والحثيث السريع * وذلك كما قال لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر * جعل التعاقب كالطلب وقدمر القول في ذلك مستقصى *

﴿قوله تعالى﴾ مسخرات بامره اى بارادته وانتصب القمر وما بعده بالفعل وهو خلق ومسخرات انتصبت على الحال اى سخرت بالسير والطلوع والغروب * قوله تعالى الا له الخلق والامر * المراد بالخلق المخلوق وللامر في اللغة وجوه تجيء ومعناه الارادة والحال ومصدر امرت ويختص هنا بالارادة على ذلك قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد * والمعنى الامر كله له لا شريك معه في شيء ولا معين ولا وزير ولا ظهير * وان ارادته هي النافذة لا ترتد ولا تنبو ولا تتوقف ولا تكبو بل يحصل المراد على الوجه الذي يريده بلا تعب ولا نصب *

﴿قوله تعالى﴾ تبارك الله رب العالمين * تمجيد وتجليل وهذا تعليم من الله كيف يمجد كما ان قوله تعالى الحمد لله رب العالمين * تعليم كيف يحمد والعالمون الخلائق وقال بعضهم هو من العلامة لانه بآثار الصنعة فيه يدل على الصانع فهو كالعلامة له في الاشياء * وقيل هو من العلم كانه علم الصانع جرى مجرى قولهم الخاتم والطابع لانه يختم بهما الشيء ويطبع ثم اختير له جمع السلامة لغلبة العقلاء الناطقين وقوله تعالى من الآية الاخرى ذلك رب العالمين * بعد قوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين * تبكيت للمخاطبين وازراء بهم * وان امثال

اي قصد خلق السماء كما خلق الارض سواء وعمد اليها بعقب خلقها من غير حائل بينهما وذلك تكوينه لهما جميعا كما اراد * وهذا كما يقال فعلنا كذا ثم استوينا على طريقنا واستمررنا فيها سائرين ولم يشغلنا عن الامتداد شاغل * قال زهير في مصداق ذلك *

ثم استمروا وقالوا ان موعدكم * ماء بشرقي سلمى فيد او ركك

﴿ و يروى ﴾ ثم استووا وتنادوا وقد كان الله تعالى قبل تسويته اياها على ما هي عليه خلقها دخانا فكون بعد ذلك من الدخان سماء وشمسا وقمرا وكواكب ومنازل وبروجا * وقوله استوى على العرش يريد الاستيلاء والملك يدل عليه قول بعيث *

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

يعني بشر بن مروان لما ولي العراق * والعرش يحتمل ان يكنى به عن الملك وان كان الاصل فيه ما يتخذه الملوك من الاسرة ولهذا قيل لقوام امر الرجل العرش واذا اضطرب قيل ثل عرشه * ويحتمل ان يراد به السماوات والارض لان كلها سقف عند العرب * ويقال عرشت الشيء وسمكت وسقفت وسطحته بمعنى ويكون مجيء ثم على هذا النسق خبرا على خبر لا لترتيب وقت على وقت ومثل هذا قول الشاعر *

قل لمن ساد ثم ساد ابوه * ثم قد ساد بعد ذلك جده

وذكر بعض شيوخ اهل النظر ان ثم انما هو لامر حادث واستيلاء الله على العرش ليس بامر حادث بل لم يزل مالكا لكل شيء ومستوليا على كل شيء فنقول ان ثم لرفع العرش الى فوق السماوات وهو مكانه الذي هو فيه فهو مستول عليه ومالك له فثم للرفع لا للاستيلاء والرفع محدث * قال ويشبه هذا

(وجعل فيها سراجا) اى الشمس وقد كرر ذكر الانوار والظلم فى عدة مواضع ولم يجعل لفظة السراج من بينها الا للشمس وذلك لشيء حسن وهو ان الضياء والنور والمصباح وما اشبهها من اسماء مايستضاء به لا يقتضى شيء منها ان يكون في الموصوف به اتقاد وهي الا الشمس فنبه تعالى على ذلك فيه بان سماه سراجا ولا تسمى سراجا حتى يكون محرقا وكشف الله تعالى عن المراد بقوله في موضع آخر (وجعلنا سراجا وهاجا) ٭ والوهج ضوء الجمر واتقاده فلهذا خص الشمس بان وصفت بالسراج وهذا بين ٭ قوله (جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا) اى مختلفة بجيء هذا خلف هذا وهذا خلف هذا ٭ ويجوز ان يريد به انها تجيء وبعضها يخلف بعضا لانها لا تستقر الا بهذا بل تتابع وتختلف في قصورها ويكون شاهد هذا الوجه قوله تعالى (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) ٭ وانتصاب خلفة يجوز ان يكون على الحال ٭ وقوله (لمن اراد) مفعولا ثانيا لجعل والمعنى صير الليل والنهار على اختلافهما لمن اراد تذكرا او تشكرا واللام في لمن تعلق بجعلنا ويجوز ان ينتصب خلفة على انه مفعول ثان لجعل واللام في لمن تعلق بها حينئذ اى صير خلفة لهم ومن اجلهم والوجه في تفسير خلفة حينئذ ان يكون من الخلافة لا من الاختلاف فاعلمه ٭ وقوله تعالى لمن اراد ان يذكر ٭ روى عن الحسن فيه انه قال من فاته (ا) عمله من التذكر والتشكر كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب ٭

﴿ وتلخيص ﴾ الآية من اراد الاستدلال على الله فتفكر في آلائه التي لا تضبط وتذكر انعمه التي لا تحصى كانت اوقات الليل والنهار ميسرة له مهيأة فليأت منها كيف شاء والشكر كل ما كان طاعة وثناء على الله ويكون بالفعل والقول

(ا) كذا في الاصل والظاهر من فاته باليوم ـ الحسن النعمانى

(ذلك تقدير العزيز العليم) نبه على حكمته فيما فعل وقدرته وانه العالم بعواقب الاشياء حتى تقع وفق ارادته *

﴿ ومنه ﴾ قوله تعالى (تبارك الذى جعل في السماء بروجا) الى (شكورا) اراد بالبروج الحمل والثور الى الحوت فالفلك مقسوم بها وكل برج منها ثلاثون قسما وتسمى الدرج وانما قسم الفلك بهذه القسمة ليكون لكل شهر برج منها لان القمر يجتمع مع الشمس في مدة هذه الايام اثنتى عشرة مرة فجعلت السنة اثنى عشر شهرا وهي التي تسمى الشهور القمرية وجعل الفلك اثنى عشر برجا لان الشمس تدور في هذا الفلك دورا طبيعيا فمتى انتقلت من نقطة واحدة بعينها عادت الى تلك النقطة بعد ثلاث مائة وخمسة وستين يوما وقريب من ربع يوم ويستمد فيها فصول السنة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ولهذه العلة سميت هذا الايام سنة الشمس *

﴿ فلما ﴾ كانت العرب تراعى القمر ومنازله وهي ثمانية وعشرون منزلا في قسمة الازمان والفصول والحكم على الاحداث الواقعة في الاحوال والشهور مراعاة عجيبة * ولهم في ذلك من صدق التأمل واستمرار الاصابة ماليس لسائر الامم حتى تستدل منها على الخصب والجدب ويستمد منها على ماتبنى امورهم عليه في الظعن والاقامة ذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم فيها وعلى جميع الخلق ودعاهم الى اقامة الشكر عليها ليستحقوا المزيد فقال تعالى في موضع آخر (الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا الآية) وقوله تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء الآية) فقوله (تبارك) تعليم منه اى قولوا تبارك والمعنى دام ذكره وثبت بركته عليكم وعمنا واستدامة الخير ونماء *

﴿ واصل البروج ﴾ في اللغة الحصون فاستعيرت على التشبيه * وقوله تعالى

القيتموه في الدنيا عند الحرب من لفح الهاجرة ولهب الحرور الى الظلال الشابتة بل يرمى بشرر يتطاير وكانها في عظمها جمالات صفر والجمالات جمع جمالة وزيدت التاء توكيد التانيث الجمع وهذا كما يقال بحر وبحارة وذكر وذكارة وقد قرأ ابن مسعود جمالة وقرئ جمالات وهو اكثر في القراءة واقوى ولا تمنع في قراءة ابن مسعود انها الطائفة منها ويراد بالجمالات الطوائف وهذا كما يقال جمال وجمالان قال (عند التفرق في الهيجاء جمالان) * ويكون جمالات وجمال كحبال وحبالات وبيوت وبيوتات للطوائف * وقد قيل رجال ورجالة كرجالات في كلامهم يريدون ما فسرت وبينت لان رجال نهاية الجمع ورجالة اذا جعلتها للطائفة فهي دونه ومبنى صفر سود قال * (هي صفر الوانها كالزغب) * وقد قيل جعلها صفرا لان لون النار الى الصفرة قوله تعالى (بشرر كالقصر) قيل فيه واحد القصور والتشبيه بها لعظمها وقيل القصر بسكون الصاد جمع قصرة وهي الغليظ من الشجر وقرئ كالقصر بفتح الصاد وهي اعناق الابل فاما تكرير التشبيه وجعلها اولا كالقصر وفي الثاني كالجمالات فكانه اراد بالقصر الجنس فتحصل الموافقة لان الجنس كالجمع في الدلالة على الكثرة او اراد تشبيه الشررة الواحدة بالقصر فاذا توالت شررا كثيرا فهي كالجمالات فعلى هذا حصل التشبيه للواحد وللجمع والله اعلم * وقوله تعالى (لا ظليل) فهو كقولهم داهية دهياء ونهارا نهر وليل اليل وليلة ليلاء يتبعون الشيء بصفة مبنية منه * والمراد المبالغة والتاكيد * وقال (ظل ذي ثلاث شعب) لانها محيطة باهلها من جميع الجوانب الا القفاء لانها لا تقفي نفسها وعلى هذا كل ذي ظل اذا تاملته ويشهد للاحاطة قوله تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) * وقال ايضا يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت

جميعا قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور * قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * ومن تأمل هذا التوسيع من الله عليه حتى لا وقت من اوقاته الا وله ان ينقطع فيه الى الله من غير تضيق ولا مدافعة علم ان الله تعالى شكور كريم يقبل الانابة كيف اتفقت فنعمته عند انام من شكره مثل نعمته حين يبتدئ من صنيعه فسبحانه من منعم في كل حال *

﴿ ومنه ﴾ قوله تعالى (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) الى (المكذبين) قوله تعالى (انطلقوا) لم يرد به الامر بالانطلاق وانما هو مقدمة يأس من المامور وبعث على الاخذ في غيره على هذا قوله تعالى (وانطلق الملأ منهم ان امشوا) * وهذا في المعنى كقولهم طفق يفعل كذا واقبل يأمر بكذا وقم فافعل وان لم يكن ثم اقبال وقيام ويقولون ذهب يقول في نفسه وان لم يكن منه ذهاب لان المراد ما كان مهيأ لذلك وفي صورته وعلى هذا قولهم تعال تفعل كذا وهلم نأخذ في كذا قوله تعالى (الى ما كنتم به تكذبون) الذي كذبوا به في الدنيا هو البعث والنشور وملائكة الله وكتبه ورسله وشيء من ذلك لم يوجهوا اليه انما المراد صيروا الى ما كنتم تحذرونه وتخوفون له فلا تعبأون به ولا تنزجرون لمكانه وهذا تبكيت وتقريع *

﴿ قوله تعالى ﴾ انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب * ذكر اهل التفسير انه يخرج لسان من النار فتحيط بهم كالسرادق ثم تنشعب منه ثلاث شعب من الدخان فيظللهم حتى يفرغ من حسابهم ويساقون الى النار ولا يمتنع ان يكون المراد انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من شدائد عقابه واليم سخطه * ويكون انطلقوا الثاني شرحا للاول وكالتفسير له والمراد انطلقوا من العذاب الى ما يلزمكم لزوم الظل ولا روح فيه ولا راحة من الحركة كما كنتم

من جميع الادناس وطهر من الشوائب يشهد لهذا قوله تعالى في صفة المؤمنين (واذا مروا باللغو مروا كراما) وهذا كما يقال في صفة الشيء العظيم الخطير هو مكرم على اي يجل موقعه والمراد بقوله تعالى (لا يمسه الا المطهرون) الملائكة اذا جعلت الكتاب اللوح المحفوظ والمعنى لا يصل اليه ولا يقربه غيرهم وذلك على حسب ما يصرفون فيه عند تنزيله وان جعلت الكتاب المكنون ما حكم الله به من قضاياه وتعبد به عباده من اصناف العبادات وشاهد هذا قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وان حفظ الشيء وصيانته وكنه واحد والشاهد في ان الكتاب المكنون هو الحكم المفروض قوله تعالى (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم) وقوله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فحينئذ يكون معنى لا يمسه لا يطلبه كما قال

مسسنا من الاباء شيأ وكلنا * الى حسب في قومه غير واضع

﴿ وقد ﴾ حكى ان اللمس والالتماس والمس متفقات والحجة في ان اللمس مثل الالتماس قوله تعالى (وانا لمسنا السماء الآية) وقول الشاعر

الام على تبكيه * والمسه فلا اجده

فقوله لا اجده يشهد بان المراد باللمس الطلب لا غير وقد احكمت القول في هذا في (شرح الحماسة) وقال بعض النظار قوله تعالى (لا يمسه الا المطهرون) لفظه لفظ الخبر والمراد به النهي والمعنى لا ينبغي ان يمس المصاحف الا الطاهرون فليس يجوز للجنب والحائض مس المصاحف تعظيما لها واجلالا وقوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) تصديق للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع ما دعا اليه من الايمان بالله تعالى او في ابطاله دعاويهم وشهاداتهم في القرآن وسائر

﴿ شرح الحماسة للمؤلف ﴾

ارجائهم وقال بعض اصحاب المعاني في (ثلاث شعب) المراد انه غير ظليل وانه لا يغني من اللهب وانها ترمي بالشرر كالقصر وتحصيل هذا ذي ثلاث صفات *

﴿ومنه﴾ قوله تعالى (فلا اقسم بمواقع النجوم) الى (العالمين) قوله (فلا اقسم) يجوز ان يكون قوله (فلا) نفيا لشيء قد تقدم ويكون الفاء عاطفة له عليه وابتداء اليمين من قوله (اقسم) ويجوز ان يكون لا دخلت مؤكدة نافية كما جاء في قوله تعالى (لئلا يعلم اهل الكتاب) والمعنى لان يعلم وقال بعضهم لا دخلت لنفي الاقسام وقال لان الايمان يتكلفها المتكلم تاكيدا للاخبار وازالة لما يعترض فيها من التجوز والتسمح واذا كان الامر على هذا فقوله (لا اقسم) يجوز ان يراد به ان المحلوف له في الظهور وخلوصه من الشك ابين واوضح من ان يتكلف اثباته بالايمان * وعلى هذا يكون قوله وانه لقسم يراد به ان الحلف بمواقع النجوم عظيم ممن اقسم بها وقوله (لو تعلمون) بعث على التفكر في المحلوف فيه وبما تضمنه مما يعظم موقعه في الصدور عند تامل الاحوال المبهجة للاستدلال * وقيل * اراد بالنجوم الانواء وما يتعلق بها من حاجات النفوس ومن المآرب والهموم على اختلاف المعتقدات فيها * وقيل * بل المراد بها نجوم القرآن لان الله تعالى انزله نجوما لما عرض فيه من مصالح المكلفين والمدعوين الى الدين ويكون الشاهد لهذا الوجه قوله (انه لقرآن كريم) ويكون الطريق فيمن جعلها الانواء التنبيه على وجوه النعم في الابداء والغيوث وما به قوام الخلق في متصرفاته * قوله تعالى (انه لقرآن كريم) جواب اليمين عند من اثبته يمينا و(في كتاب مكنون) يجوز ان يريد به اللوح المحفوظ لانه اودع التنزيل اللوح ثم فرق منه نجوما ويشهد لهذا قوله تعالى (وانه في ام الكتاب لدينا) وذكر الام كما قيل في المجرة ام النجوم وكما قيل مكة ام القرى ومعنى كريم انه مخلص

لطلبوا الى الاستيلاء على العرش والاستواء عليه طريقا قال ومثله لفظ حي انشد ابو زيد *

يا قر ان اباك حي خويلد * قد كنت خائفه على الاحماق

يريد ان اباك خويلد فزاد قوله حي وقوله تعالى (عما يقول الظالمون) بمعنى علا والمعنى جل وارتفع عما يقول المشركون اكده بقوله (علوا) ووصف العلو بالكبر مبالغة في التبعيد * قوله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) يريد ما من شيء الا وبما فيه من اثر الصنعة يدل على قدرة الله تعالى ويشهد بالالهية ويدعو الى عبادته وينفي عنه مشابهة لخلقه وجميع ما لا يليق بحكمته ومعنى يسبح بحمده اي ينزهه اما اعرابا باللسان او دلالة بواضح البرهان وفائدة قوله (يسبح بحمده) اي فيما يظهر من حكمته في خلق ما خلق والانعام على من انعم حمد اله اذ لم يكن اعداد الشكر في مقابلة النعم اكثر من اضافة النعم الى المنعم فاذا كان الحمد تولية النعمة ربها واشادة ذكره ونسبتها اليه فآثار النعم حامدة شاكرة لمسديها * الا ترى الى قول القائل (ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب) * فنسبة الثناء الى الحقائب كنسبة التسبيح بالحمد لله الى الدال عليه والمقيم له * وهذا حسن بالغ * قوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) اي تجحدونه او تعرضون عنه فعل من لا يفهم وهذا كقوله تعالى يصفهم (لهم قلوب لا يفقهون بها) ثم قال (اولئك كالانعام بل هم اضل) قوله تعالى (انه كان حليما غفورا) يريد هو حليم حين لم يعاجلهم فيما ادعوه بالعقوبة ولكن تركهم امهالا ورفقا وهو غفور لمن اناب وان ارتكب كل منكر قبيح رحمة منه لعباده وحسن تفضل *

﴿ ومنه ﴾ قوله تعالى (له ملك السموات والارض يحيي ويميت) الى (عليم) اثبت الله لنفسه انه القادر الغالب فهو يملك وجميع ما يدركه الابصار والاوهام

العبادات وارتفع (تنزيل) على انه صفة لقوله (قرآن كريم) او على انه خبر مبتدء محذوف *

﴿ ومنه ﴾ قوله تعالى (قل لو كان معه آلهة) كما تقولون الى (حليما غفورا) ذكر الله تعالى فيما وعظ من قبل قوله (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم) ثم اتبعه بقوله تعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا الآيه) والانذار بالتبكيت الشديد والوعيد الممض الزاما للحجة واظهارا للعناد منهم وانه هداهم فلم يهتدوا وذكرهم فلم يعبأوا واعجابا برأيهم وذهابا عند التدبر والنظر ليومهم وغدهم ودنياهم وآخرتهم ثم اخذ عز وجل يحاجهم على لسان نبيهم فقال قل لهؤلاء الذين ضلوا عن الرشاد وعموا عن الصواب أن الله تعالى لو شركه في ملكه غيره كما تدعون لفسدت الاحوال * وتقطعت الوصل والاسباب * ولعلا بعضهم على بعض وكان يطلب كل الاقتسار وتسليم الامر له كما قال هو (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وكان لا ينفع الاستثناء فيما بينهم وترك الخلاف واظهار الرضاء لان الاستبداد او طلبه وان لم يظهر فلا من واحد منهم فلا مهرب من تجويزه عليهم وجوازه لن يحصل الا عن تقدير استضعاف ومن قدر فيه ضعف فانه لا يكون الها وهذا بين * قوله تعالى (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) اى لطلبوا الى اخصهم بالملك واولاهم بالامر منازعته ومجاذبته ومساواته ومسامته قوله (ذى العرش) يجوز ان يريد به ذا السلطان والعز ويجوز ان يريد به ذا السرير الذى حمله في السماء والملائكة يطوفون حوله كما ان البيت المعمور في السماء الرابعة وقال بعضهم اى العرش وانشد قول الشماخ (فادمج دمج ذي شطن بديع) قال يريد ادمج دمج شطن فزاد ذى فكذلك قوله الى ذى العرش يريد الى العرش والمعنى

الفضيلة فلا يمدح لرب العالمين * وقال تعالى في موضع آخر (كل شيء هالك الا وجهه) وذكر في صفات نفسه هو الاول والآخر والظاهر والباطن * وكل هذه الآي دالة على انه تعالى يصير منفردا بالوجود كما كان منفردا به من قبل ان يخلق الخلق وانه تعالى يفني كل ما خلقه افناء لا يبقى له اثر ولا رسم حتى يصير بالفناء في حكم ما لم يخلق ولم يوجد * وقال تعالى (هو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده) وفي آخر (كما بدأكم تعودون وهو يبدئ ويعيد) والمعاد هو وجود على صفة لا زيادة عليها وهو ان يتقدم الوجود للشيء فيبطل ثم يعاد الى الذي كان عليه من الوجود * واذا كان السمع قد اثبت معادا وحقيقة المعاد ما ذكرناه من ان ما سميناه في الاول احداثا ومحدثا سميناه وقد بطل واستجد الجادة في الثاني معادا ومستجد افتقد وضح معنى قوله كل من عليها فان والآى التي معها *

﴿ فان قيل ﴾ الذي يعرفه اهل اللغة من معنى الفناء هو نفاد المركب قليلا قليلا كنفاد الزاد والاضمحلال والهزال هو تحلل الاجزاء والاستحالة هو تغير مزاج الشيء * قلت * الفناء بطلان الشيء دفعة واحدة وهو ضد الانشاء والاختراع فاذا تجاوزت هذا الموضع فاستعماله على ضرب من التشبيه به فقوله تعالى كل من عليها فان * يريد ان جميع ما خلقه قبل الوقت الموعود للثواب والعقاب يبطله بمعنى يخترعه (١) اذا حصل فني به الاجسام والاعراض كلها فناء الضد بالضد وليس ذلك المعنى بمقدور للعباد * والبقاء لا يجوز عليه فاذا افناهم بعزته الغالبة بذلك المعنى اعادهم بقدرته الواسعة كما كانوا قبل الفناء ولا يصح ما اجمع عليه المسلمون من امر المعاد والفناء الا على ما ذكرناه وهو اللغة والشرع والناظر فيما ذكرناه يبين له معرفة الفناء مثل ما بين له من

من اصناف العالم جليلها و دقيقها خيرها وشرها يتصرف فيها كما شاء واختار تصرف الملاك فهو ملك مالك يبدئ ويعيده ويحيى و يميت وقد اقرت له الصعاب * وتذللت له الرقاب * لا يمتنع عليه مراد وان عز وشق * ولا وجد عنه ذهاب فيما ثقل اوخف * اليه آماد الاعمار * والارزاق * ومصارف البقاء والفناء فهو القادر الحكيم * والعالم الغني * لا يخفى عليه معلوم وان دق * ولا يعزب عن الظهور له مطلوب وان رق * الاول في الوجود لقدمه لا عن ابتداء مدة والآخر بعد فناء كل شئ خلقه في الدنيا لبقائه لا الى غاية * لم يزل ولا يزال على ماهو عليه من ديموميته وحكمته وصواب فعله وقدرته * يحيى الاموات اذا شاء * ويميت الاحياء اذا شاء ويفني المخلوقات اذا شاء * ويعيدها اذا شاء * الظاهر بماله من آياته التي لا تخفى * وعبره التي لا تفنى * والباطن لانه لا تدركه الابصار ولا تحصله الحواس * وهذا اوجه في الآية * وقيل * اراد بالظاهر انه غالب على كل شئ بما دل به على نفسه * من اصناف صنعه كما قال تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) اى طالبين غالبين ويقال ظهرت على الجبل الواضح الذى هو كالجمر * وقيل في الباطن التي هي في خفائها كالسر فهو بما تجلى منها ظاهر * وبما خفي منها باطن وهذه آية لها جوانب تقتضي الكلام عليها وانا ان شاء الله ابلغ النهاية بجهد ارضى *

﴿ اعلم ﴾ ان الله تعالى قال في موضع من كتابه (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ما قال على الموت لان الموت انما ندم به الحياة والله تعالى قال كل من عليها ولم يقل حياة من عليها * وقال بعده (ويبقى وجه ربك) والميت جيفة تبقى واذا كان كذلك فلا فضيلة في البقاء مع الشركة فيه واذا دفعت

واواخرها فمن ذلك قوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) الى (بالساهرة) وقال تعالى (ذلك اليوم الحق) اى الوعد به صدق او يراد به انه يوم حق لا باطل معه اذا قام الاولون والآخرون ويجتمع متفرق الاسباب و متمزق الاجلاد ويعود غايب الارواح ويحشر الافواج * وقد قال تعالى (فاذا جاءت الطامة الكبرى) والطامة هي العالية على ما قبلها * وقال تعالى (اذا السماء انفطرت) الى (واخرت) وقال تعالى (اذا السماء انشقت) الى (وتخلت) و (اذا الشمس كورت) و (اذا النجوم انكدرت) و (اذا زلزلت الارض زلزالها) وقال تعالى (يسئلونك عن الساعة ايان مرساها) الى آخر السورة وهذا السوال والجواب مثل سوالهم عن الروح فقوله (فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها) مثل قوله تعالى (قل الروح من امر ربى) وقال تعالى (ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد) والابداء ابداءه الخلق كله لا من شيئ والاعادة ما وعد به من الاحياء بعد الاماتة والبعث والحشر واعداد الثواب والعقاب *

﴿ وحكى ﴾ عن الاصمعى انه قال اذا قال الرجل اول امرأة اتزوجها فهى طالق لم يعلم هذا من قوله حتى يحدث بعدها اخرى فان ماتت لم تكن اول لكنه لا تشركها اخرى قال ابو العباس المبرد وهذا خطأ لان قوله اول هو موقع لما بعده وذلك ان تاتي بعده ما شئت ولا يكون آخر الا لشيئ قبله غيره واعاهو ماخوذ من الحر * وقيل لما كان لا اول له * قال المبرد ولا يجوز هذا الا في صفة القديم تعالى فهو الاول والآخر والظاهر والباطن * وقال الفقهاء اذا قال الرجل اول عبد املكه فهو حر فملك عبدين جميعا معا لم يعتق واحد منهما وان ملك بعد ذلك عبدا آخر لم يعتق ايضا لانه ليس باول ولو قال اول عبد املكه فهو حر فملك عبدا ونصف عبد عتق العبد ولم يعتق النصف لان هذا اول عبد ملكه والنصف لا يسمى

معرفة المعاد * وحكمة وضع اللغة لان الذى ينقطع وجوده بالموت كالحى منا ظاهر التميز عما لا ينقطع وجوده بالفناء وما اشبهه من الاعراض * واذا كان كذلك فانا نثبته بالسمع كما ثبت جواز كونه وخلق الله له بالعقل ولكن معرفة حقيقته الى الله تعالى كما قال (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى) ويكون من جملة ما استأثر بعلمه و اذا اعادهم حشرهم النظر فى اعمالهم فى مواقف مختلفة كما قال تعالى (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) * وكما قال تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) وكما قال تعالى (ان يوم الفصل كان ميقاتا) الى (سرابا) فان سأل سائل عن معنى قوله (فكانت ابوابا) وعن وجه التشبيه بالسراب * قلت * معنى قوله ابوابا يريد كانت ذات ابواب مفتحة وليس المعنى صارت كلها ابوابا كما ان قوله كانت فراخا بيوضها صارت كلها فراخا لانها اذا صارت كلها ابوابا عادت فضاء وخرجت من ان تكون ابوابا * واما التشبيه بالسراب فالمراد به بيان التماعها وتخلخلها فى نفسها والسراب هو الذى يتخيل للناظر نصف النهار كانه ماء يطرد ويقال سرب الماء يسرب اذا سال والمراد ما يتداخل النفس من تغير المعهود وقد اخرج الله تعالى صفة القيامة فى معارض مختلفة لاختلاف احوال الموصوفين وكرر ذكرها وحذر منها لونبه من امرها على كثير مما يكون فيه اليقين فظا عنها فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) الى (يوم الفصل) وقال تعالى (يوم تبدل الارض الآية) فتبديل الارضين والسماوات واطفاء الضوء وتفريج السماء وتحليل عقدها حتى تصير ابوابا وطمس نجومها وانتثار كواكبها ونسف جبالها كل ذلك او اكثرها مما تؤكد حال الفناء وازالة ما قد الارض والسماء و قد درج تعالى فى هذه الصفات لانه تعالى رددها متمننة فى اوقاتها بين اوائلها ووسائطها

واواخرها